الحُلَّةُ الحقيقة لا المجازية

في الرحلة الحجازية

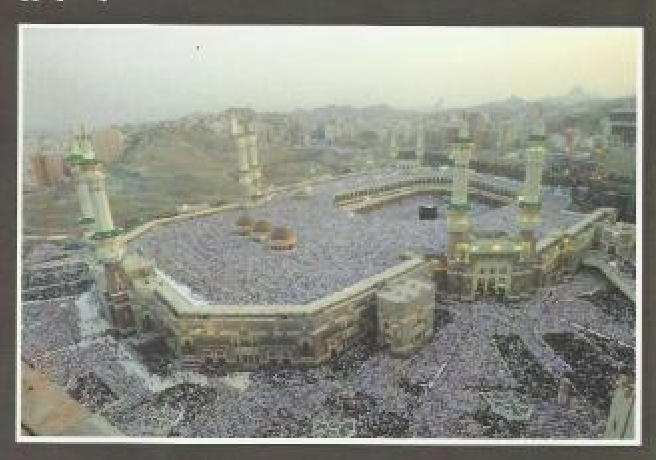
مصطفى البكري الصديقي

ت 1162هـ

تحقيق وتعليق

عمار توفيق احمد بدوي

د. خالد محمود قرقور



إصدار

مركز الدراسات الإسلامية والمخطوطات والإفتاء



الحُلَّةُ الحقيقية لا المجازية

في الرحلة الحجازية

العلامة الشيخ مصطفى البكري الصديقي

(ت١١٦٢هـ)

تحقيق وتعليق

عمار توفيق أحمد بدوي   الدكتور خالد محمود قرقور

اصدار

مركز الدراسات الإسلامية والمخطوطات والإفتاء

أكاديمية القاسمي/ باقة الغربية

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ/٢٠١١م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

اعتنى العلماء، والأدباء، والمؤرخون بتسجيل رحلاتهم؛ حيث حلّت مطاياهم، واستقرت عصا ترحالهم. وامتلأ وعاء التاريخ برحلات كثيرة، يمَّمَ كلُّ رحّالة شطر جهة حظيت باهتمامه، وأثارت مشاعر قلبه، وخطرات فكره. والرحلة التي نقدمها للقراء، هي رحلة اصطبغت بصبغة الدّين، وطفت عليها نزعة الجانب الشرعي؛ إذ هي رحلة المسلم إلى بلاد الحجاز؛ حيث الإشعاع النوراني في مهد الرسالة مكّة المكرمة، ومُتنزّل القرآن الكريم، كما هي ارتحال إلى المدينة النبوية، والحرم النبوي الشريف؛ منطلق النّور إلى العالمين، وزيارة لحامل لواء الحمد، والهدى سيدنا محمد رسول الله ﷺ.

هذه الرحلة قام بها عالم صوفي نحرير شهير، وحينما يكون الرحالة صوفياً لتلك البقاع الطاهرة؛ فيعني ذلك أننا سنكون أمام عواطف جياشة، وروحانية شفافة؛ تصطبغ بها النفس التوّاقة للوِرد المحمّدي الرائق، وتستقي من رحيقه الدافق.

فرأينا كيف تعانق الشعر الجميل، مع النثر؛ ليصنعا معاً نسيج هذه الرحلة. فكما نثر الصديقي انطباعاته، وتفاعلاته نثراً؛ فقد نظم شعراً؛ ما اعتلج في صدره من مشاهدات، ومؤثرات في رحلته نحو الحجاز، وما في الحجاز.

عُرف الصديقي بأنه رحالة جاب كثيراً من البلاد، في مِصره الشام، وخارج مِصره، في القدس، وحلب، والعراق، والحجاز، ومصر، وبلاد الروم. ولكنّ هذه الرحلات لم تحظ بالتحقيق والنشر، اللهمّ القليل منها؛

فوجدنا هذه الرحلة جديرة بالتحقيق، والنشر؛ لعلاقتها بأداء منسك؛ هو فريضة من فرائض الإسلام، وركن من أركانه؛ ألا وهو الحج.

لا يملك القارئ حبس انفعاله، من التأثر بمجريات الأحداث، وتفاعله العاطفي، والروحي، مع انفعالات الصديقي الذي برع بتصويرها نثراً، وشعراً. فاحتوى المخطوط على (٥٨٨ بيتاً من الشعر).

أما النسخة المخطوطة التي ظفرنا بها من هذه الرحلة، فهي نسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة. وقد ضُمَّت مقتنيات هذه المكتبة إلى مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة. وأُدرج حفظُها تحت الرقم ٩٠٠/٨٩.

وتتكون المخطوطة من (٢٥ ورقة) فيها (٥٠ صفحة). وكلّ صفحة فيها (٢٣ سطراً). وهي مكتوبة بخط النسخ الجميل. وناسخها هو محمد عبد الجواد. ولم يظهر عليها تاريخ النسخ.

منهج التحقيق:

ارتكز منهج التحقيق على نقاط منها:

١: تشكيل الكلمات التي يحتاج إلى تشكيلها لمعرفة ضبطها.

٢: وضع علامات الترقيم اللازمة.

٣: توثيق الآيات القرآنية، وكتابتها بخط المصحف الشريف.

٤: تخريج الأحاديث الشريفة.

٥: تخريج النصوص المنقولة في المخطوط من مصادرها.

٦: التعريف بالأماكن والبقاع الواردة في النص.

٧: ترجمة الأعلام الوارد في المخطوط، والتعريف بهم.

٨: شرح المفردات والمصطلحات كلما لزم الأمر.

٩: التعليق على النص بما يخدمه كلما لزم الأمر.

١٠: وضعنا عناوين بين قوسين هكذا [ ] لم تكن في المخطوط.

وقدمنا بين يديّ المخطوط، ترجمة موجزة للعارف بالله الشيخ مصــطفى البكري الصديقي صاحب الرحلة.

وبهذا يكون التحقيق قد اشتمل على قسمين:

الأول: ترجمة الشيخ العلامة مصطفى الصديقي.

الثاني: نص المخطوط محقّقاً.

ونأمل أن نكون قد أخرجنا هذه الرحلة إلى عالم الشهادة، وأن تساهم في معرفة الواقع الاجتماعي، والديني في الحقبة التاريخية التي زار بها الحجاز.

القسم الأول

التعريف

بالأستاذ العارف بالله مصطفى الصديقي

القسم الأول

التعريف بالعلامة الأستاذ العارف بالله الصديقي رحمه الله

مولده واسمه[1]: هو: مصطفى بن كمال الدين علي بن كمال الدين بن عبد القادر محي الدين الصديقي الحنفي الدمشقي[2]. ولد الصّديقي في شهر ذي القعدة في دمشق سنة (١٠٩٩هـ)[3].

نشأته وشيوخه:

"توفي الشيخ كمال الدين والد الصديقي، وكان عمره ستة أشهر؛ فنشأ يتيماً موفّقاً في حِجر عمّه المولى أحمد بن كمال الدين بن عبد القادر الصّديقي"[4].

"واشتغل الصّديقيّ بطلب العلم في دمشق، فقرأ على الشيخ عبد الرحمن بن محي الدين السليمي الشهير بالمجلد، والشيخ أبي المواهب الحنبلي، وكان يطالع له الدروس الشيخ محمد بن إبراهيم الدكدكجي، ولازم الشيخ عبد الغني النابلسي، وأخذ العلم عن الأجلاء من علماء الشام. وعدّهم المرادي في سلك

---

(١) انظر ترجمته في:

المرادي، محمد خليل بن علي: **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**. ط٣. بيروت: دار ابن حزم، ودار البشائر الإسلامية. ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. ج٤ص١٩٠. النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **جامع كرامات الأولياء**. تحقيق إبراهيم عوض. بيروت: المكتبة الثقافية. ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٠م. ج٢ص ٤٧١. الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير: **فهرس الفهارس الأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**. باعتناء د إحسان عباس. بيروت: دار الغرب الإسلامي. ج١ص٢٢٣.

(٢) المرادي: **سلك الدرر**. ج٤ص١٩٠.

(٣) المرادي: **سلك الدرر**. ج٤ص١٩٠. وانظر: الكتاني: **فهرس الفهارس**. ج١ص٢٢٤.

(٤) المرادي: **سلك الدرر**. ج٤ص١٩٠.

الدرر، كما أخذ عن بعض العلماء الذين التقاهم الصّديقي في رحلاته، فأخذ عن الشيخ الإمام نجم الدين بن خير الدين الرملي في رحلته إلى القدس"[١].

أخذه الطريقة الخلوتية، ومشيخته فيها:

أخذ الصّديقيّ الطريقة الخلوتية عن الشيخ عبد اللطيف بن حسام الدين الحلبي الخلوتي[٢].

وفي سنة "١١١٩هـ"، سكن إيوان المدرسة الباذرائية، ونزل في حجرة بها؛ بقصد الانفراد، والاشتغال بالأذكار، والأوراد، وأذن له شيخه ـ الحلبي ـ بالمبايعة سنة "١١٢٠هـ"، إذناً عاماً؛ فبايع في حياته، وكانت أزهر أوقاته. ولمّا توفي شيخه؛ توجّه تلامذته للصديقي، وبايعوه، وشاع خبره، وذاع أمره، وكثر جمع جماعته، إلى سنة "١١٢٠هـ"[٣].

تلاميذه:

أخذ عن الشيخ الصّديقي خلق كثير، وحيثما حلَّ كان الناس يجتمعون عليه. قال المرادي:" توجّه إلى أرض كنانة، وصحبه جمع كثير، وظهرت كلمته في تلك الأقطار، ولمّا بلغت تلامذته مائة ألف؛ أمر بعدم كتابة أسمائهم، وقال: هذا شيء لا يدخل تحت عدّ"[٤].

---

(١) المرادي: **سلك الدرر**. ج٤ص١٩٠.

(٢) المرجع السابق. ج٤ص١٩١.

(٣) انظر: المرادي: **سلك الدرر**. ج٤ص١٩١.

(٤) المرادي: **سلك الدرر**. ج٤ص١٩٤.

ثناء العلماء عليه:

نال الأستاذ الصديقي درجاتٍ عاليةً من الثناء، والمدح من علماء عصره، وممن عرف قدره، فقالوا فيه كلمات ذهبية؛ تذكر فضله، ومنزلته.

قال المرادي: "الأستاذ الكبير، والعارف الرباني الشهير، صاحب الكشف والواحد بألف، كان مغترفاً من بحر الولاية، مقدماً إلى غاية الفضل، والنهاية، مستضاءً بنور الشريعة، رطب اللسان بالتلاوة، أحد أفراد الزمان، وصناديد الأجلاء من الأعلام، والأولياء العظام، العالم العلامة الأوحد أبو المعارف قطب الدين"(١).

وقال الجبرتي: "الأستاذ شيخ الطريقة، والحقيقة، قدوة السالكين، ومربي المريدين الإمام"(٢).

وقال تلميذه العلامة محمد السفاريني: "مصطفى بن السيد كمال الدين البكري الخلوتي أعجوبة الزمان، ونادرة الدهر والأوان، صاحب المقامات الباذخة، والقواعد والأصول الراسخة، والتجليات السافرة، والعلوم الزاخرة، والفهوم القاهرة، والكرامات الظاهرة، والأحوال الباهرة، والتآليف السايرة، والتصانيف الدايرة"(٣).

---

(١) المرجع السابق. ج٤ص١٩٠.

(٢) الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن: **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**. بيروت: دار الجيل. ج١ص٢٤٦.

(٣) السفاريني، محمد بن أحمد: **إجازة الزبيدي**. ١مج. مخطوط. من مكتبة الحرم المكي الشريف. رقم المخطوط ٢٦٠٧. عنوان المخطوط أسانيد السفاريني. ص٤٦. وينظر: بدوي، عمار توفيق: **العلامة محمد بن أحمد السفاريني حياته وجهوده العلمية**. ط١. طولكرم: دار الفتوى. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. ص١٤.

وقال الأديب الرحالة تلميذه "مصطفى أسعد اللقيمي" حينما زار الخليـل، والتقى شيخه الصّديقي فيها: " فنزلنا بمنزل قطب دائرة الأفـلاك الحسـنية، واسطة عقد العصابة الهاشمية، خلاصة السادة الأشراف، من فـاق بحسـن سيرته النجوم الزواهر، وبجميل طلعته البدور النواضر، الراسخ فـي العلـم الإلهي، المكاشف عن أسرار الحقائق كما هي؛ أستاذ كلِّ أستاذ، ومـلاذ كـلِّ ملاذ؛ السيد مصطفى البكري الصديقي قدس الله سرّه الشريف"(١).

وقال اللقيمي: "أستاذنا قدّس الله سرّه الشريف، بمظهر من الجمـال فـي أرفع محلٍّ منيف، مع لطفٍ بلغ غاية الكمال، وحسن الخلق"(٢).

وكان الصّديقي سخياً كريماً، قال المرادي: "كان مصرفه مثـل مصـرف أكبر من يكون من أرباب الثروة، وأهل الدنيا، ولم تكن له جهة تُعلم؛ يـدخل منها ما يفي بأدنى مصرف من مصارفه؛ ولكن بيده مفتاح التوكّل لكنز "هـذا عطاؤنا"(٣).

وقال الشيخ حسن بن علي شمة المصري: "وكـان أكـرم مـن السـيل، وأمضى في السر من السيف، وأوتي مفاتيح العلوم كلها؛ حتى أذعن له أولياء عصره، ومحققوه في مشارق الأرض، ومغاربها"(٤).

---

(١) اللقيمي، مصطفى أسعد: **موانح الأنس في زيارتي لوادي القدس.** ط١. تحقيق وتعليق عمار توفيق بدوي، وآخرون. باقة الغربية: مركز الدراسات الإسلامية والمخطوطـات. ٢٠٠٤م. ص٨٦.

(٢) اللقيمي: **موانح الأنس.** ص٨٦.

(٣) المرادي: **سلك الدرر.** ج٤ص١٩٤.

(٤) الجبرتي: **عجائب الآثار.** ج١ص٢٤٧. النبهاني: **جامع كرامات الأولياء.** ج٢ص٤٧٣.

وقال الجبرتي: "الأستاذ شيخ الطريقة، والحقيقة، قدوة السالكين، ومربي المريدين"[1].

رحلاته:

كان الصّديقيّ رحّالةً. ووُصِف بأنه كثير الرحلات[2]، ولم تكن رحلاته مجرد زياراتٍ عابرة؛ وإنما سجّل فيها لقاءاته مع كبار العلماء، ومشاهداته، ومجريات أيامه، واختزنها في كُتب أفردها؛ تستحق أن تُدرس، ففيها تعريف بطبائع، ومعالم، وعلماء، وأهل كلِّ بلد زارها، وحطّ فيها رِحاله.

والبلاد التي ارتحل إليها؛ كانت عواصم للعلم، والمعرفة؛ تظهر اهتمامه رحمه الله، بإحكام الصلة بعلماء عصره، وأكابر زمانه.

قال الجبرتي:" ورحل إلى جُلِّ الأقطار؛ لبلوغ أجلِّ الأوطار، كما دأب على ذلك السلف؛ لما فيه من اكتساب المعالي، والشرف"[3]. ومن البلاد التي ارتحل إليها، واحتفى أهلها به:

أولاً: القدس.

توجّه الصّديقي من دمشق الشام، إلى زيارة بيت المقدس، وذلك في تاسع عشر محرم، يوم الخميس في سنة "١٠٢٢"هـ، وزار بيت المقدس مرة أخرى في سنة "١١٢٦هـ"[4]. وزار القدس أكثر من مرة، وتزوج فيها، وأقام فيها مدة. وانهمك الصّدّيقيّ في القدس الشريف، بلقاءِ علماء القدس، ومن حلّ فيها زائراً من علماء العالم الإسلامي، ونشَرَ ألوية الأوراد،

---

(١) الجبرتي: **عجائب الآثار**. ج١ص٢٤٦.

(٢) الزركلي: **الأعلام**. ج٨ص٢٣٩.

(٣) الجبرتي: **عجائب الآثار**. ج١ص٢٤٦.

(٤) المرادي: **سلك الدرر**. ج٤ص١٩١.

والأذكار، وزار مقامات الأولياء، والمشاهد، والمعالم التاريخية فيها، وصنّف في القدس، "وِرد السَّحر"[١].

ثانياً: **حلب**. أرّخ رحلته إليها بكتاب سماه" الحلة الذهبية في الرحلة الحلبية"[٢].

ثالثاً: **بغداد**[٣]. أرخها في كتابه " كشط الصدا، وغسل الران في زيارة العراق، وما والاها من البلدان"[٤].

رابعا: **مصر**. أرّخ رحلته إليها في كتاب سمّاه " النحلة النصرية في الرحلة المصرية"[٥].

خامساً: **رحلته إلى الديار الرومية**، أرخها بكتاب سمّاه "تفريق الهموم وتغريق الغموم في الرحلة إلى بلاد الروم". وفي كتاب آخر اسمه "الحلة الفانية رسوم الهموم والغموم في الرحلة إلى بلاد الروم"[٦].

سادساً: **بلاد الحجاز**. أدّى مناسك الحج، وحجّ أكثر من مرة[٧]. وأرّخ رحلته رحلته الأولى للحجاز، وأداء مناسك الحج بكتاب "الحلة الحقيقية لا المجازية في الرحلة الحجازية". وهي المخطوط محلّ التحقيق.

سابعاً: **لبنان**[٨]. وأرّخ زيارته لها في كتابه "ورد الإحسان في الرحلة إلى جبل لبنان"[٩].

---

(١) انظر: المرادي: **سلك الدرر**. ج٤ص١٩١.

(٢) المرادي: **سلك الدرر**. ج٤ص١٩١، ١٩٧.

(٣) الجبرتي: **عجائب الآثار**. ج١ص٢٤٦.

(٤) المرادي: **سلك الدرر**. ج٤ص١٩١، ١٩٧.

(٥) المرجع السابق. ج٤ص١٩٢، ١٩٧.

(٦) المرجع السابق. ج٤ص١٩٣.

(٧) المرجع السابق. ج٤ص١٩٣.

(٨) الجبرتي: **عجائب الآثار**. ج١ص٢٤٦.

(٩) المرادي: **سلك الدرر**. ج٤ص١٩٧.

مؤلفات الصّديقي:

الصّدّيقي شاعر، وأديب، وفضلاً عن ذلك كلِّه؛ فَتَحَ الله عليه؛ فتوح العارفين. قال المرادي: "مشتغل بالتآليف، وألّف مؤلفات نافعة، وبلغت مؤلفاته مائتين واثنين وعشرين مؤلفاً، ما بين مجلد، وكراستين، وأقل، وأكثر، وله نظم كثير، وقصائد جمّة خارجة عن الدواوين تقارب اثني عشر ألف بيت" (١).

وعدّد المرادي كُتبه، وهي متنوعة بين رحلات، وتراجم للعلماء، وشروح للأوراد، ودوواين شعر، وأراجيز في علوم متنوعة.

قال النبهاني: "ومن أعظم كراماته: كثرة مؤلفاته، نظماً، ونثراً، مع اشتغاله بالطريق، والأسفار في الأقطار، وأنواع العبادات، والاجتماعات مع الناس"(٢).

وقال الشيخ حسن شمة: "وتآليفه تقارب المائتين، وأحزابه وأوراده أكثر من ستين"(٣).

وفاته:

لبّى الصديق نداء ربّه عز وجل، في ليلة الثاني عشر من شهر ربيع الثاني عام "١١٦٢هـ"(٤).

---

(١) المرادي: **سلك الدرر**. ج٤ص١٩١، ١٩٥.

(٢) النبهاني: **جامع كرامات الأولياء**. ج٢ص٤٧٤.

(٣) المرجع السابق. ج٢ص٤٧٤.

(٤) الجبرتي: **عجائب الآثار**. ج١ص٢٤٧. النبهاني: **جامع كرامات الأولياء**. ج٢ص٤٨٢.

القسم الثاني

نص الرحلة محقّقاً



صفحة ١ من المخطوط /مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة



آخر صفحة من المخطوط/ مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة]

الحمد لله الذي أوجبَ على عبادِه زيارةَ بيته الحرام. وجعل أركانَ الحجِ؛ الطوافَ، والوقوف، والإحرام. وقال في كلامه القديم الذي بيّن فيه الحلال والحرام: "ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا"[سورة آل عمران:٩٧]؛ فحجّوا، واجتنبوا المال الحرام. وسنَّ زيارة نبيه[١]، وحبيبه؛ بدر التمام.

---

(١) زيارة مسجد النبي ﷺ سنة مستحبة؛ لقوله ﷺ: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام، ومسجدي، والمسجد الأقصى". البخاري، محمد بن إسماعيل: **صحيح البخاري**. تحقيق: د مصطفى ديب البغا. ط٣. بيروت: دار ابن كثير، اليمامة. ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م. كتاب أبواب التطوع. باب مسجد بيت المقدس. رقم الحديث١١٣٩. ج١ص٤٠٠. النيسابوي، مسلم بن الحجاج: **صحيح مسلم**. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. كتاب الحج. باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد. رقم الحديث١٣٩٧. ج٢ص١٠١٤.

أما زيارة النبي ﷺ فالمقصود بها التسليم عليه ﷺ، عند قبره الشريف؛ وهذا أمر مشروع، وسنة مستحبة. فقد كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إذا قدم من سفر؛ أتى إلى قبر النبي ﷺ وقال: السلام عليك يا رسول الله" الصنعاني، عبد الرزاق بن الهمام: **مصنف عبد الرزاق**. تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. بيروت: المكتب الإسلامي. ط٣. ١٤٠٣هـ. رقم الحديث٦٧٢٤. ج٣ص٥٧٦. ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد: **مصنف ابن أبي شيبة**. تحقيق كمال الحوت. ط١. الرياض: مكتبة الرشد. ١٤٠٩هـ. رقم الحديث١١٧٩٣. ج٣ص٢٨. البيهقي، أحمد بن الحسين: **سنن البيهقي**. تحقيق محمد عبد القادر عطا. مكة المكرمة: مكتبة دار الباز. ١٤١٤ هـ/١٩٩٤م. رقم الحديث١٠٠٥١. ج٥ص٢٤٥. وعن عبد الله بن دينار أنه قال: رأيت عبد الله بن عمر يقف على قبر النبي ﷺ، ويصلي على النبي ﷺ، وأبي بكر، وعمر رضي الله عنهما" الجهضمي المالكي، إسماعيل بن إسحاق: **فضل الصلاة على النبي**. تحقيق محمد ناصر الدين الألباني. ط٣. بيروت: المكتب الإسلامي. ١٣٩٧ هـ. ص٨٣.

وانظر تفصيل المسألة: ابن الحاج، محمد بن محمد العبدري: **المدخل**. دار الفكر. ١٤٠١هـ/١٩٨١. ج١ص٢٥٦. عبد الهادي، محمد: **الصارم المنكي في الرد على السبكي**.

وجعل خُلعَ القبول لا تخلع إلا عنده لوافر الإكرام؛ كما أخبـــر بـــذلك أهـــل الكشف، والرشف[1] من السادة الأعلام. صلى الله تعالى عليه، وعلــى آلــه وأصحابه الذين باهى الله بهم الملائكة الكرام، وعلى التابعين لهــم بإحســان؛

تحقيق إسماعيل بن محمد الأنصاري. مكتبة التوعية. ص٤٥٥. ابن قدامة، عبد الله بن أحمد: **المغني**. ط١. بيروت: دار الفكر. ١٤٠٥هـ. ج٣ص٢٩٨. قال النووي: "واعلم أنّ زيـارة قبر رسول الله ﷺ من أهم القربات، وأنجح المساعي، فإذا انصرف الحجاج، والمعتمرون من مكة؛ استحب لهم استحباباً متأكداً؛ أن يتوجهوا إلى المدينة لزيارته ﷺ" النووي، محي الدين: **المجموع**. بيروت: دار الفكر. ١٩٩٧م. ج٨ص٢٠١. قال ابن تيمية: "وهكذا كان الصحابة ﷺ يسلمون عليه ﷺ" ابن تيمية، أحمد عبد الحليم: **مجموع فتاوى ابن تيمية**. تحقيـق عبـد الرحمن بن محمد النجدي. ط٢. مكتبة ابن تيمية. ج٢٦ص١٤٦.

(١) الكشف من مصطلحات التصوف. قيل في معناه: "نور يحصل للسالكين في سيرهم إلـى الله تعالى؛ يكشف لهم حجاب الحِسِّ، ويزيل دونهم أسباب المادة. فالعبد إذا انصرف عن الحس الظاهر إلى الحس الباطن؛ تغلبت روحه على نفسه الحيوانية،... والروح لطيفـة كشـافة؛ فيحصل حينئذ الكشف، ويتلقى إرادات الإلهام". عيسى، عبد القادر: **حقائق عن التصـوف**. ط٤. عمّان: المطبعة الوطنية. ١٤٠١هـ/١٩٨١م. ص٤١٩، ٤٢٠. قال أبو حامد الغزالي: "التقوى مفتاح الهداية والكشف" الغزالي، محمد بن محمد: **إحياء علوم الدين**. بيـروت: دار المعرفة. ج٣ص٢٤.

قال ابن خلدون: "وهذا الكشف كثيراً ما يعرض لأهل المجاهدة؛ فيدركون من حقائق الوجود مالا يدرك سواهم. وكذلك يدركون كثيراً من الواقعات قبل وقوعها، و يتصرفون بهممهـم، وقوى نفوسهم" ابن خلدون، عبد الرحمن: **مقدمة ابن خلـدون**. ط٥. بيـروت: دار القلـم. ١٩٧٤م. ص٤٦٩. وقال الجرجاني: "الكشف: الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعـاني الغيبية، والأمور الحقيقية؛ وجوداً، أو شهوداً" الجرجاني، علي بن محمد: **التعريفات**. تحقيق إبراهيم الأبياري. ط١. بيروت: دار الكتاب العربي. ١٤٠٥هـ. ص٢٣٧. وأما الرشـف: قال ابن فارس: "رشف: الراء، والشين، والفاء، أصل واحد؛ وهو تقصي شـرب الشـيء، والرشف استقصاء الشرب؛ حتى لا يدع في الإناء شيئاً. وفي كتاب الخليل الرشف بقية الماء في الحوض. والرشف أخذ الماء بالشفتين" ابن فارس،أبو الحسين أحمد: **معجم مقاييس اللغة**. تحقيق عبد السـلام محمـد هـارون. ط٢. بيـروت: دار الجيـل. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. ج٢ص٣٩٥. قلت: ولعل المقصود هنا معنى مجازياً ممن يرشفون العلم، والمعاني السامية.

نالوا بِرَّ الحجّ؛ أطعموا الطعام، وأفشوا السلام. وبعد؛ فيقــول أفقــر الأنـــام، وأحقر الخدّام؛ بكثرة الآثام؛ مصطفى بن كمال الدين بن علـــي الصـــدّيقي[(١)] منحه الله الحجَّ المبرور، والسعي المشكور، وأسقاه مـــن الشـــراب الحـــلال الرحيقي، والمدام: لمّا كان الحجُّ على المستطيع من الأمة فرضاً[(٢)]؛ كانـــت النفس تتشوق لأدائه؛ لتكون ممن للحق أرضى، وتتشوق لزيارة تلك الأمـــاكن التي إليها القلبُ متحرِّكٌ غير ساكن؛ لكن عدم وجود الاستطاعة مانع. وكلمـــا هَمّ العبد؛ أعجزته الأقدار، وأقعدته الموانع.

وكثيراً ما يأخذ الفؤاد القلق، ويذيبه لهيبُ حرِّ العلق، ويوقد التـــذكار فـــي جوانحه النار؛ فنسلّيه؛ لا يتســـلى، ونعللـــه؛ فيقـــول: كـــلا، لا إقـــرار، ولا اصطبار؛ إلا بقرب المزار، ومشاهدة الآثار، وسكان الديار. وقد قيل: أقـــرب تطرب. ومن قرب ولم يطرب[(٣)]؛ فقلبه من الجَرَب الخرب؛ أجرب، وأخرب.

---

(١) صاحب الرحلة، وقد مرت ترجمته.

(٢) ثبت فرض الحجّ على المستطيع من قوله تعالى:" ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا"[سورة آل عمــران:٩٧]. قال القرطبي: "اللام في قوله: "ولله"لام الإيجاب، والإلزام، ثم أكّـــده بقوله تعالى: "ولله على الناس"التي هي من أوكد ألفاظ الوجوب عند العرب؛ فإذا قال العربي: لفلان على كذا؛ فقد وكّده، وأوجبه. فذكر الله تعالى الحج بأبلغ ألفاظ الوجوب؛ تأكيداً لحقه، وتعظيماً لحرمته، ولا خلاف في فريضته" القرطبي، محمد بن أحمد: **الجامع لأحكام القرآن**. القاهرة: دار الشعب. ج٤ص١٤٢.

(٣) الطرب في اصطلاح الصوفية هو: عبارة عن الأنس بالحقِّ تعالى. التهانوي، محمد علـــي: **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**. تحقيق د علي دحروج وآخرين. ط١. ١٩٩٦م. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون. ج٢ص١١٣٠.

[تاريخ زيارته الأولى للقدس]

ولم يزل في وجدٍ، واضطراب، وجهد كرب في بُعاد، واقتراب؛ إلـى أنْ فتح الحقُّ الوهاب باباً لزيارة البيت المقدس المستطاب[1] فكان بابٌ فُتِحَ؛ يا له من باب، وشرابٌ مُنِحَ؛ يا له من شراب، وذلك عام اثنين وعشـرين ومايـة وألف من الهجرة النبوية، وظننت أن يسكن به الفؤاد؛ فـزاد الغـرامُ بتلـك الخيامِ؛ بكرةً، وعشية.

وذكرت بعض ما اتفق لنا في هذه الخطرة في الرحلة المسماة "بـالخمرة المحسية في الرحلة القدسية"، ثم عدنا إلى الديار، وأقمنا فيهـا مـدّة بحكـم الاضطرار؛ فهاجت بنا دواعي الشوق، ودبّت فينا نشوةُ التَّوق إلى تلك الآثار المقدسة، والرحاب التي على التقوى مؤسسة.

[تاريخ رحلته الثانية للقدس]

وثارت الأشجانُ إلى لقاءِ الإخوان؛ فَسِرْنا في ذي الحِجَّة سالكين إن شاء الله المبين؛ أوضحَ محجّة سنة ست وعشرين ومئـة وألـف، وازداد واجـد الوجد؛ حتى تجاوز الألف، وأودعت ما وقع في هذه الكرة، وما جـرى فـي هذه المرة؛ الحلوة لا المرة في كراسة، وسميتها "الخطـرة الثانيـة الأنسـية للروضة الدانية القدسية". وكرينا على الأوطان، وأعددنا أنفسنا من القُطّان[2]، وأقمنا على شهر رجب الفرد[3] المكين من شهور عـام ثمانيـة وعشـرين؛

---

(١) انتهت الصفحة الأولى من المخطوط.

(٢) القُطّان: المقيمون. انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العـرب**. ط١. بيـروت: دار صادر. ج١٣ص٣٤٢. مادة قطن.

(٣) شهر رجب له أسماء كثيرة، منها رجب الفرد. فالأشهر الحرم أربعة ثلاثـة جـاءت سـرداً متعاقبة، وهي ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم. وجاء شهر رجب منفرداً ليس متعاقباً وراءها؛ فسمّي رجب الفرد. انظر: ابن دحية الكلبي الأندلسي البستي، عمر بن الحسن: **أداء ما وجب**

فحرّك الحقُّ سبحانه وتعالى منا الهمّةَ الفاترة، على زيارة عَلَم الشرق، وما حواه العراق من السادة المتكاثرة.

[الوصول إلى حلب]

ولما وصلنا إلى محروسة "حلب"، لم تقم الزيارة لأمر محتّم؛ فقصدنا زيارة سلطان الزهاد سيدي إبراهيم بن أدهم[(١)] قدّس الله سرّه الأعظم؛ ما امتدت موائد البسط عند مرقده المعظم.

[تسجيل مشاهداته بحلب في رحلته الحلة الذهبية]

ومكثنا في طراس الشام نحو سبعة أشهر وأيام. وتراجعنا للآثار المقدسة؛ لعلاقة لا تنسى، وإنْ نسبها الغير؛ لضعف السير، فنحن لها الخنسا[(٢)]. وضمَّنت بعض ما شهدناه في جزء سميته "الحلة الذهبية في الرحلة

من بيان وضع الوضاعين في رجب. تحقيق : جمال عزون. ط١. بيروت: مؤسسة الريان. ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م. ص٨٦.

(١) إبراهيم بن أدهم: أبو إسحاق، وهو السيد الجليل النبيل، كان أحد السادات الكبار. (ت١٦٢هـ)، وهو من أهل بَلْخ كان من أبناء الملوك، والمَياسير. خرج متصيِّداً، فهتف به هاتف، أيقظه من غَفْلَتِه. فترك طريقته، في التَّزَيُّن بالدنيا، ورَجَع إلى طريقة أهل الزُّهْد والورع. وخرج إلى مكة، وصحب بها سفيان الثَّوري، والفُضَيْل بن عِياض. ودخل الشام، فكان يعمل فيه، ويأكل من عمل يده. انظر: الأزدي، محمد بن الحسين بن محمد: **طبقات الصوفية**. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م. ج١ص٣٥. ابن العماد، عبد الحي بن أحمد: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط. ط١. دمشق: دار بن كثير. ١٤٠٦هـ. ج١ص٣٥٥.

(٢) الخنسا: فعلها خنس، ويخنسُ، خَنسا: تأخر، كانخنس وزيداً؛ أخره. الفيروز أبادي، محمد يعقوب: **القاموس المحيط**. بيروت: مؤسسة الرسالة. ص٦٩٨. لعله يقصد تأخرهم.

الحلبية"[1]. وعطفنا على المرابع السامية الشامية عام ثلاثين؛ راجين القرب من رب البرية.

[الاستعداد للتوجه للحجاز عام١١٢٩هـ]

وازداد واردُ الإدكار، والأفكار كيف الوصول إلى سُعاد الحجاز الرفيع المنار؟

وكان عام تسعة وعشرين؛ توجهت ميممة الأخ الكريم الشيخ عبد الكريم القطان[2]، أسكنه الله جنة الفردوس الأعلى مع من بها قُطّان، فقال له الأخ ذو الود، والوفاء الشيخ مصطفى بن عمرو[3] مُنح الصفاء: أنت حجيت، واجعل هذه عن أخيك فلان؛ ليحصل لك ثواب سبعين حجة كما جاء في بعض الآثار[4] عن الأعيان، أو ما معنى هذا الكلام؛ فقبل ذلك، وقرأ الفاتحة.

---

(١) انتهت هنا صفحة٢ من المخطوط.

(٢) ذكر الصديقي أنه ترجم له برسالة في الصفحة التالية.

(٣) من شيوخ الصديقي. وكتب الصديقي ترجمة له في رسالة اسمها: "تبريد وقيد الجمر في ترجمة الشيخ مصطفى بن عمر. انظر: المرادي: **سلك الدرر**. ج٤ص١٩٤، ١٩٥.

(٤) لم يرد أثر صحيح يفيد أنّ الحج عن الغير فيه هذه الدرجة من الثواب. والوارد أحاديث ضعيفة في فضل الحج ماشياً وأنها تعدل سبعين حجة. منها: قوله ﷺ: "للماشي أجر سبعين حجة" الطبراني، سليمان بن أحمد: **المعجم الأوسط**. تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. القاهرة: دار الحرمين. ١٤١٥ هـ. رقم الحديث٧٠٨٣. ج٧ص١٣٤. قال الهيثمي: فيه محمد بن محصن العكاشي، وهو متروك. الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر: **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**. القاهرة، بيروت: دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي. ١٤٠٧هـ. ج٣ص٢٠٩. وهناك حديث آخر ذكر السبعين حجة في اجتماع يوم عرفة بيوم الجمعة. وهو حديث ضعيف أيضاً. انظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. بيروت: دار المعرفة. ١٣٧٩هـ. ج٨ص٢٧١. الألباني، محمد ناصر الدين: **سلسلة الأحاديث الضعيفة**. الرياض: مكتبة المعارف. رقم الحديث٢٠٧. ج١ص٣٧٣.

وتوجه لذلك المقام نائباً عن الفقير؛ فذكرت ذلك عنه في ترجمتـه المسـماة "بالصراط القويم في ترجمة الأخ الشيخ عبد الكريم".

[قرب المسير للحج، وما جرى في ذلك من قصص]

ولما قرب زمن مسير الحاج؛ أنشدني المحبوبُ المجذوب[1] الشيخ أحمد بن سراج[2] مطاوعياً:

لو قيدوا المشتاقَ بقيدين ما هدى   لم يسكن إلا أن يلوح سناه

فاستعدته منه؛ لما أثّر في فؤادي؛ وكأنه قصد إيقاد نيران أكبادي، ثم قال لي: "يا مصطفى أنا مرادهم يرسلوني إلى الحج في هذا العام" ففهمـت إشـارته، ومقصوده في هذا الكلام فقلت: أرسلني نائباً عنك. فقال: أتروح. فقلت: نعـم، ولو أنّ الروح تروح، فقال: إن رحت؛ أرسلك مكاني؛ فقلت: عسى أن يـدنو التهاني. ثم غاب بعض أيام، وجاءني قائلاً: مرادك نرسلك إلى الحجّ في هذا العام؛ فقلت له: حفظك الله، هذا هو المرام. وكنت ذهبت لوداع الحـاج قبـل هذا العام بعامين، وأنشدت حين شهدتُ الهوادج، والأجمال؛ تسير بلا مَين[3].

---

(١) المجذوب: من اصطلاحات الصوفية، وتعني: "من اصطفاه الحق لنفسه، واصطفاه بحضـرة أنسه، وأطلعه بجناب قدسه؛ ففاز بجميع المقامات، والمراتب بلا كلفة المكاسب، والمتاعب" الكاشاني، عبد الرزاق: **معجم اصطلاحات الصوفية**. تحقيق د عبد العال شاهين. القاهرة: دار المنار. ط١. ١٤١٣هـ/١٩٩٢م. ص٩٦. الجرجاني، علي بن محمد بن علي: **التعريفـات**. تحقيق إبراهيم الأبياري. ط١. بيروت: دار الكتاب العربي. ١٤٠٥هـ. ص٢٦٠.

(٢) أحمد بن سراج، أحد مجاذيب دمشق، الولي المجمع على ولايته. (ت١١٣٩هـ). المرادي: **سلك الدرر**. ج١ص١٠٨.

(٣) بلا مَين: بلا كذب. والمَين هو الكذب. ابن منظور: **لسان العرب**. ج١٣ص٣٩٥.

[قصيدة زجروا العيس نحو وادي العقيق]

زجروا العيس[1] نحو وادي العقيق[2] ليت شعري هل لي له من طريق

ثم مالوا لطيبة[3] فاستطابوا حين شموا عبير ذاك الفريق

وعليهم لاحت لوامعُ نادي القر ب فاستغرقوا بدمعٍ طليق[4]

---

(١) العيس هي: الإبلُ البِيضُ يُخالِطُ بَياضَها شُقْرَةٌ. الفيروز أبادي: **القاموس المحيط**. ج١ص٧٢٢.

(٢) وادي العقيق: هو الوادي المبارك كما صح في الحديث الشريف. عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول: إنه سمع عمر ﷺ يقول: سمعت النبي ﷺ بوادي العقيق يقول: "أتاني الليلة آت من ربي، فقال: صلِّ في هذا الوادي المبارك، وقل عمرة في حجة" البخاري: **صحيح البخاري**. ج٢ص٥٥٦. ووادي العقيق: يشق من قبل الطائف، ثم يمر بالمدينة من غربيه، وهو أطول أودية الحجاز، ويأخذ العقيق أعلى مساقط مياهه من قرب وادي الفرع، ثم ينحدر شمالاً بين الحرار شرقاً، وسلسلة جبال قدس غرباً، حيث ترفده؛ فيسمى النقيع. ولما يقرب من بئر الماشي؛ يسمى عقيق الحسا إلى أن يصل آبار علي بذي الحليفة؛ فيسمى العقيق. وينتهي مسماه في الغابة إذا اجتمع بوادي بطحان، ثم قناة. وسمّي عقيقاً؛ لأنّ سيله عق في الحرة، أي شقّ وقطع. وقيل سمي بذلك: لحمرة موضعه. ووادي العقيق هو مهلّ أهل المدينة. وتحدث عنه كثير من الشعراء، والأدباء. انظر: عبد الغني، د محمد إياس: **تاريخ المدينة المنورة المصوَّر**. ط١. المدينة المنورة: مطابع الرشد. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. ص١٢٠. النميري البصري، عمر بن شبة: **أخبار المدينة**. تحقيق: علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١٧هـ/١٩٩٦م. ج١ص١٠٧.

(٣) طيبة اسم يطلق على المدينة المنورة، ومن أسمائها: المدينة، وطيبة، وطابة، والطيبة، والمسكينة، والعذراء، والجابرة، والمجبورة، والمحببة، والمحبوبة. انظر: النميري البصري: **أخبار المدينة**. ج١ص١٠٤.

(٤) انتهت صفحة٣.

ولهم قدِمت بخائب عيب
وعليها ارتقوا لنُزْل أنيق

واحتظوا بالصعود فوق عروش
فاح منها نَدّ ومسك فتيق[1]

واستطالوا على السوى حيث اسقا
هم كؤوسَ الصفا مديرُ الرحيق

وتملوا بحضرة قد تعالت
فوق عرش بالمصطفى والعتيق[2]

ثم بالسيد الجليل أبي حفـ
ـص الذي حاز رتبة التوفيق

هؤلاء الأقمار[3] جلوا وحلوا
حِجرَ بنت الصديق ذي التصديق

---

(١) النَّدُّ من العطور: "وهو العُودُ المُطَرَّى بالمِسْك، والعَنْبَر، والبَانِ". الزبيدي: **تـاج العـروس**. ج٩ص٢١٥. وفتَقَ الطّيبَ يفتُقه فتْقاً: طيّبه، وخلَطَه بعود وغيره. وفتْقُ المِسْكِ بغَيْرِه؛ إخراجُ رائحته بشيءٍ تُدْخِلُه عليه. الزبيدي: **تاج العروس**. ج٢٦ ص٢٧٧.

(٢) يقصد المصطفى ﷺ، والعتيق هو أبو بكر الصديق ﷺ.

(٣) عن عائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجَ النبي ﷺ قالت: رأيت ثَلاَثَةَ أَقْمَـارٍ سَـقَطْنَ فـي حجـري حُجْرَتِي؛ فَقَصَصْتُ رُؤْيَايَ على أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق. قالت: فلما تُوفِّي رسول الله ﷺ، وَدُفِنَ في بيتها قال لها أبو بَكْرٍ: هذا أَحَدُ أَقْمَارِكِ وهو خَيْرُهَا. ابن أنس الأصبحي، مالك: **موطأ الإمام مالك**. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. مصر: دار إحيـاء التـراث العربـي. ج١ص٢٣٢. الطبراني: **المعجم الكبير**. ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م. ج٢٣ص٤٨. الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله: **المستدرك على الصحيحين**. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. ط١. بيـروت: دار الكتب العلمية. ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م. ج٣ص٦٢. الهيثمي: **مجمع الزوائد ومنبـع الفوائـد**. ج٩ص٣٨.

فالهنا للذي يزور المفدّى
بشروه بالفوز عند المضيق

كيف لا ينجو من لأحمد وافى
سيد منجد على التحقيق

هل رؤوف بنا رحيم سواه
إنّ هذا العريق غوث الغريق

كهف كل الأنام كن لكئيب
قيدته الأهوا بحبل وثيق

ومن الغير خلصته ليدنو
من حمى القرب بالعتيق الصديق

جدي المرتقي لأعلى المراقي
بك لما وفاك بالتمزيق

خالعا للعذار فيك ولوعا
أنت مولاه وهو خير رفيق

فبحبٍ له وحبك فيه
جُد لقلبي بالوصل قبل الحريق

ثم حسن سيري بإمداد قدس
يتوالى في نهج هذا الطريق

فأنا عاجز عن إصلاح نفسي
فتشفع يمسي التداني رفيق

بيدي خذ إني المقصر وارفع
لغواشي الأستار يمحق ضيقي

والضواحي مُرْها تلوحُ لعيني
كي أراها تبدو بثوب صفيق

بجمالِ الكمال منك تشفع
بي لأنجو من بحر نفس عميق

صل ربي مسلما كل وقت
وأوان على الحبيب الشفيق

وعلى آله الكرام وصحبٍ
ثم أتباعه أولي التدقيق

ما سرى الركبُ نحو طه مُجِدّا
أو أتى مغرمٌ لوادي العقيق

[قصيدة أبروق لاحت بتلك الوادي]

ولما رأيت الأجمال(١) سائرة تخبُّ الأرض خبــاً، والقلــوب طــائرة(٢) تطوي السباسب(٣)حيا؛ تزايدت منا الحسرات، وتتابعت التلهفات، والجبــرات. وبعد العود من التوديع؛ قيدت هذا القصيد الآتي؛ مخافة أن يضيع، وأنشـــدتها الرفيق الرفيق، والشفيق الأعز من الشقيق الأخ الشيخ عبد الكريم الجمــل(٤)؛

---

(١) الأجمال: حمع جمل.

(٢) انتهت صفحة ٤ من المخطوط.

(٣) السَّبْسَبُ : المَفَازَةُ. والقَفْرُ، أَو الأَرْضُ المُسْتَوِيَةُ البَعِيدَةُ. وعن ابن شُمَيْل: السَّبْسَبُ: الأَرْضُ القَفْر البَعِيدَةُ مُسْتَوِيَةً وغَيْرَ مُسْتَوِيَةٍ وَغَلِيظَة وغَيْرَ غَلِيظَة لا مَاءَ بها، ولا أَنِيسَ. الزبيـــدي، محمد مرتضى الحسيني: **تاج العروس من جواهر القاموس**. تحقيق مجموعة من المحققين. دار الهداية. ج٣ص٤٠. مادة الفعل سب.

(٤) لم أجد له ترجمة خاصة.

فهاج، وماج، ولمفصل ما عنده أجمل، وبكى، واستبكى، وللمـدامع أهمـل؛ فالآن قاسى حشاشة صدع البين لا تتحمل[1]:

أبـروق لاحـت بتلـك البـوادي
أم بوادٍ في حـيّ سـلمى بـوادي

أم شموسٌ قـد أطلعتهـا شـموسٌ
نزلـوا فـي خيـامِ ذاك الـوادي

أم سليمى تجلـي فيجلـو سـناها
ظلمةَ الكونِ بعـد فـرطِ السـوادي

فأجابـت ربـوعُهم ويـكَ هـذي
حضـرة النّـور بغيـة الإفـراد

سدرة المنتهـى وعـرش التجلـي
كنـزُ كنـزِ الأطـوار والأطـواد

قبضـة النـور ثـم درتـه البيـ
ـضـا وسِـرّ الإعـدام والإيجـاد

شمس كل الشـموس بـدرُ بـدورٍ
نورُ نـورِ الأنـوار خـافٍ وبـاد

ويقينـا أرض الحقيقـة عنـه
والضـواحي تبـدو لفـرد الـبلاد

أحمـد المصـطفى أحيـد وحيـد
وشـهيد مـاحٍ لأهـل العنـاد

قبلة الخلق كعبـة الصـدق بيـت الـ
ـعز عـين الأعيـان والأمجـاد

---

(١) هنا سقطت كلمة غير مقروءة.

مركـــز الفـــوز والنجـــاة وملجـــا
كـــــلّ لاجٍ راجٍ مـــــن القصّـــــاد

منـــزل الســـعد ذا بلـــيس يســـمو
نـــال مـــن أمـــه جنـــى الإســـعاد

فتملـــــي إن رمـــــت أن تتملـــــي
ثم فاســـتجار نـــور وجـــه ســـعاد

وادخـــل الحـــان بانكســـارٍ وذل
وبنـــادي نـــادي أحبـــاي نـــادي

اه يا نـــار زفـــرة الصـــبّ زيـــدي
نحو مـــن خيمـــوا ســـوادَ الســـواد

ثـــم يـــا قلـــب بـــالغرام تفتـــت
في هواهم إنْ لنـــت يـــا قلـــب صـــادي

أرضـــيت البعـــاد قلبـــي عـــنهم
إن به قد رضيت لســـت فـــؤادي[1]

أم علـــيهم صـــبرت حتـــى يمنـــو
بالتداني فضـــلاً وحســـن الأيـــادي

يـــا احبّـــاي بالوصـــال فعـــودوا
كي تعيـــدوا فـــي قـــربكم أعيـــادي

وكمـــا كنتمـــوا قـــديما تجـــودوا
بـــاقترابي لا تقطعـــوا معتـــادي

---

(١) انتهت صفحة ٥

سارت العيسُ تقطــع البيــدَ شــوقا
نحــو تلــك الرُّبــا بجــدٍّ الصــواد

وكذاك القصّـــادُ ســـاروا وطـــاروا
وأنــــا مقعـــــد عــــن القصّــــاد

اقعدتني الــذنوبُ عــنكم عســاكم
ســــادتي تشــــفعوا بفـــكٍّ قيـــادي

ووجـــودي لا نفـــع فيـــه ولكـــن
بقـــــــاه مكثـــــــر للســـــــواد

الغياث الغيـــاث يـــا قـــرة العيـــ
ـــــن ونـــور الأرواح والأجســـاد

بضجيعيك صـــاحب الغـــار والفـــا
روق من خصصـــا بقـــرب أمهـــاد

كن مجيري من القواطـــع واجعـــل
سرَّ ســـر الشـــهود للقلـــب بـــادي

وصـــلاة عليـــك فـــي كـــل وقـــت
وســـــلام مـــــا إن تحـــرك هــــادي

وعلــــى الــــك الكـــرام و صـــحب
ما حدى بالسّراة في الليـــل حـــادي

او حجـــيج اتـــى لطيبـــة يرجـــوا
نظرة اللطف منك يا خيـــر هـــادي

او غدا مصطفى من الشوق يشـــدو
أبـــروق لاحـــت بتلـــك البـــوادي

[اجتماعه بوالي الشام أمير الحج رجب باشا]

وكنت لما اجتمعت بجَناب الدُّستور[1] الأكرم، والمشير الأفخم محبُّنا الأعظم؛ والي الديار الشامية، وأمير الحجِّ في هذه السّنة السنيّة "رجب باشا"[2] حبي من الخير ما شا؛ سألني هل حجيت؟ قلت: لا. فعرض أنْ نصحبه في الزيارة، وصرح بعد التعريض، والإشارة؛ فأحلنا الأمر على الإرادة. ورجونا حجّاً مبروراً؛ لنيل السعادة.

[صحبته مع عمّه لأداء فريضة الحج]

ولما توجهت ميمة العمّ؛ زاد السرور، وزال الغمّ. وكان لي قِبَله مالاً، فقلت: أحسب مصرفه عليّ منه مآلاً، وسألته الرفق، والإرفاق؛ فأجاب بالوفاق، والإشفاق. وأخبرت "ابن الوزير"[3] المشار إليه أمره بأخذ الفقير؛ فهان الصعب عليه[4].

[وداعه الأحياء وزيارة قبور أقاربه وبعض العلماء قبل سفره]

وعند العزم، والحزم على الرحيل بالجزم؛ ودعنا قطب رحى الوجود من يخرج الحج في غفارته، ويعود؛ شيخنا صاحب الكشف الأنسي جناب

---

(١) الدُّستور: النُّسْخَة المَعْمُولَة للجَماعَاتِ كالدَّفاترِ، ويُجْمَع فيها قوانينُ الملك وضَوابطُه. واستَعْمَله الكُتَّابُ في الذي يُدِير أَمرَ الملك تَجَوُّزاً. ثم لُقِّب به الوَزِيرُ الكَبير الذي يُرْجَع إليه فيما يَرْسُم في أَحوال النَّاس. ووَلِعَت العامّة في إطلاقه على معنَى الإِذْنِ. وأصل الكلمة فارسيّ معرب. الزبيدي: **تاج العروس**. ج١١ص٢٩٢.

(٢) والي الشام في الفترة الزمنية من ١٧١٨م ــ ١٧٢١م. لابدّ للوالي أن يكون ممن يحملون لقب "باشا"، والكثير ممن تولوا ولاية سورية كانوا يحملون أيضاً رتبة وزير، "باشا وزير"، بعضهم كان يحمل لقب "الصدر الأعظم"، أو ألقاب أخرى عديدة. انظر قصة لقاء الصديقي برجب باشا: المرادي: **سلك الدرر**. ج٤ص١٩٢.

(٣) ابن رجب باشا المذكور.

(٤) انتهت صفحة ٦ من المخطوط.

الشيخ "عبد الغني النابلسي"[1]، وجميع من عنده ممن أصحبهم رفده. وزرنا قدوة العارفين سلطان الغارفين في بحر الوحدة والغارفين؛ سيدي "محي الدين"[2] قدّس الله تعالى سره، وسر من بقوله يدين. وتوجهنا بأهل السفح؛ فطاب الوقت المزدي بليلة السفح؛ ثم زرنا الوالد[3]، والأجداد الكرام في مقبرة الشيخ "أرسلان"[4]، معذّق الأكوام قدّس الله سره، وسر بجانبه، وأسره بقربه، وأسرنا به.

---

(١) هو: عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي الحنفي الدمشقي أستاذ الأساتذة، وجهبذ الجهابذة، الولي العارف ينبوع المعارف العالم العلامة الحجة الفهامة. ولد بدمشق سنة١٠٥٠هـ وتوفي سنة ١١٤٣هـ. المرادي: **سلك الدرر**. ج٣ص٣٠.

(٢) هو: محمد بن علي بن محمد ابن عربي أبو عبد الله الطائي. طاف البلاد، وأقام بمكة مدة، وصنف فيها كتابه المسمى بالفتوحات المكية، فيها ما يعقل، ومالا يعقل، وما ينكر، وما لا ينكر، وما يعرف ومالا يعرف. وله تصانيف كثيرة. انظر: ابن كثير، إسماعيل: **البداية والنهاية**. بيروت: مكتبة دار المعارف. ج١٣ص١٥٦.

(٣) والده: كمال الدين، توفي وعُمر الصديقي ستة أشهر. المرادي، محمد خليل بن علي: **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**. ط٣. ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. بيروت: دار ابن حزم. ج٤ص١٩٠.

(٤) مقبرة في دمشق تقع بالقرب من المسجد الأموي، شرق باب توما. النعيمي الدمشقي، عبد القادر بن محمد: **الدارس في تاريخ المدارس**. تحقيق إبراهيم شمس الدين. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١٠هـ. ج٢ص٩٣. هو الشيخ أرسلان بن يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد الله أصله من قلعة جعبر. الوالي الكبير والقطب الشهير خفير الشام الجعبري الدمشقي، أتى الشام، وكان نشاراً، ثم اشتهر بالصلاح والزهد وكان أولاً يتعبد في مسجد صغير داخل باب توما، وهو معروف الآن بمقامه. وحفر البئر الذي هناك بيده. (ت٥٤٠هـ) وقيل غير ذلك. بدران، عبد القادر: **منادمة الأطلال ومسامرة الخيال**. تحقيق زهير الشاويش. ط٢. بيروت: المكتب الإسلامي. ١٩٨٥م. ص٣١٨. وانظر: البغدادري: **هدية العارفين**. ج٥ص٣٦٧. الغزي، محمد بن عبد الرحمن: **ديوان الإسلام**. ص٣.

وتممنا الزيارة بشيخنا المرحوم الشيخ "عبد اللطيف"[1] منحه الله كامل التشريف. وختمنا بمرقد سيدي عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق[2]، وهذا المرقد على التحقيق لجدنا الأمجد سيدي محمد بن عبد الرحمن ذو التصديق المعروف بابن أبي عتيق، وسبب ذلك أنّ محمد بن عبد الرحمن هذا، وُلِدَ له عبد الله، وله عَقِب، فاتفق أنَّ عدة من أولاد أبي بكر؛ تناضلوا فقال أحدهم: أنا ابن الصديق. وقال آخر: أنا ابن ثاني اثنين. وقال آخر: أنا ابن صاحب الغار. وقال محمد بن عبد الرحمن: أنا ابن أبي عتيق. فنسب إلى ذلك هو، وولده إلى اليوم. ذكره ابن قتيبة في تاريخه[3].

---

(١) هو: عبد اللطيف بن حسام الدين الحلبي الخلوتي. أخذ الصديقي عنه الطريقة الخلوتية. المرادي: **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**. ج٣ص١٢٣، ج٤ص١٩١.

(٢) عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان أبو محمد(ت٥٣هـ). ابن أبي بكر الصديق ابن أبي قحافة القرشي التيمي، وأمه أم رومان والدة عائشة . انظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي ابن حجر: **الإصابة في تمييز الصحابة**. تحقيق علي محمد البجاوي. ط١. بيروت: دار الجيل. ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢م. ج٤ص٣٢٥.

(٣) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: **المعارف**. تحقيق دكتور ثروت عكاشة. القاهرة: دار المعارف. ص١٧٤.

[الجد الأعلى للصديقي]

وأما عبد الرحمن الجد الأعلى، فمات فجأة سنة ثلاث وخمسين، وقيل ثمان. وحُمِل إلى مكة، ودفن فيها[١] ذكره الشيخ محمد بن عبد الدايم البرماوي[٢] في شرحه "الزهر البسّام في ما حوته عمدة الأحكام"[٣] وبعد تمام الزيارة، وتوديع الأهل، والأحباب الأخيار؛ توجهنا مع العمِّ[٤] إلى قبة الحاج عشية النهار، وبتنا في سرور، وبسط تام بين رفقة أعزة، وأحبة كرام.

---

(١) انظر: ابن حجر العسقلاني: **الإصابة**. ج٤ص٣٢٧.

(٢) الشيخ الإمام العالم المفنن شمس الدين محمد بن عبد الدائم بن موسى البرماوى الشافعي(ت٨٣١هـ)، أحد فقهاء الشافعية، ومدرس المدرسة الصلاحية بالقدس الشريف. وأصله من عسقلان. انظر: ابن تغري بردي الأتابكي، يوسف: النجوم **الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي. ج١٥ص١٥٢. ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر: **طبقات الشافعية**. تحقيق د الحافظ عبد العليم خان. ط١. بيروت: عالم الكتب. ١٤٠٧هـ. ج٤ص١٠١.

(٣) له عدة مؤلفات في العلوم الشرعية، ومنها "الزهر البسام فيما حوته عمدة الأحكام من الأنام" وهو أرجوزة في التاريخ، ابتدأ فيها بالنبي ﷺ، وثنى بالخلفاء الراشدين. انظر: البغدادي، إسماعيل باشا: **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢م. ج٦ص١٨٦.

(٤) عمه: محمد أفندي البكري. المرادي: **سلك الدرر**. ج٤ص١٩٢.

[السير إلى الكُسوة والمزيريب وكتابة مسودة الرحلة]

وفي صبيحة اليوم[1] الأزهر الميمون سرنا إلـــى "الكُســـوة"[2]، ونزلنـــا قريباً من تلك العيون. وساروا بنا ليلة السبت إلى "المزيريـــب"[3]؛ فوصـــلناه. وأقمنا فيه أياماً بعيش خصيب، وفيه شرعت في مسودة هذه الرحلة المباركـــة المسماة دون مشاركة "الحلَّة الحقيقية لا المجازية في الرحلة الحجازية".

[وصوله مدينة معان بالأردن]

ولم نزل نسير، والحق سبحانه يهوّن العسير إلى أن وصلنا "مَعـــان"[4]. والحاج كما يقال: معان. والزفرة في وهج؛ تصلي بحرها المهج:

واقمنـــا يومـــا بهـــا ثـــم ســـرنا
نحو تلك الرحـــاب نرجـــو الأمانـــا

نترامـــى علـــى الوشـــاةِ غرامـــا
كي يمـــر الزمـــان نـــأتي المكانـــا

ولديـــــه يلتــــذ ســـــمعي بمغنــــى
فيـــه تغنـــي عـــن الســـواد بـــدانا

---

(١) انتهت صفحة٦.

(٢) الكُسوة: تقع جنوب دمشق. وهي تقع على الطريق الواصل بين اسطنبول والمدينة المنـــورة، ويمر بها الحجاج من الشام، ويستقبلون فيها موكب الحج. قيل في تسميتها كلام كثير منـــه؛ لأنّ غسان قتلت بها رسل ملك الروم؛ لما أتوا إليهم لأخذ الجزية منهم واقتسمت كســـوتهم. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: **معجم البلدان**. بيروت: دار الفكر. ج٤ص٤٦١.

(٣) المزيريب: تقع إلى الغرب من مدينة درعا السورية، وتشتهر بمناظرها الطبيعية الخلابة. كان الحجاج ينزلون فيه. انظر: الصفوري، عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن: **نزهـــة المجالس ومنتخب النفـــائس**. تحقيق عبد الرحيم مارديني. بيروت، دمشق: دار المحبة، دار آية. ٢٠٠٢م. ج١ص٢٣٠.

(٤) معان: جنوب الأردن.

[الاشتغال بالأذكار في المركب]

وكنا نشتغل في المِحفَّة[1] ببعض أذكار، وأوراد؛ تدني الإمــداد، وتبعــد الأنكاد، وتوصل مفصول المراد. والأجفان كراها جفاها؛ باشــتعال الــنفس، والتهابها بقرب مناها.

[تمرغ الجمل ووقوع المِحفَّة وفقدان بعض أوراقه، وبيانها]

وفي ليلة ليلى من هذه الليالي التي شق الأنفس لطلب الأنفس فيها حلالي تمرغ الجمل بي؛ فأرمى المِحفَّة إلى الأرض بما فيها، وأتي بآخر سليم مــن الجراحة؛ فركبناه والنفس نصافيها؛ ففقدت مســودات "الصــلاة البريــة فــي الصلاة على خير البرية". وبحثت عنها جهداً؛ فغابت كأنْ لم يكن لها عهــداً؛ فحصل للنفس أسفٌ عليها زايد، واستدلت بأنّ هذا من عدم الإذن في ظهورٍ، وتحصيلِ الفوائد.

وفي ثاني يوم، أو الثالث، والفكر غير لاهٍ عنها؛ بل بذكرها عابث، وإذا بالجرار يقول، وكنا نزول: هاهنا أوراق ملقاة هل لــك بهــا إلمــام؟ فقلــت: أرنيها؛ وكنت مستلق على ظهري في الخشب؛ لأنام، فلمــا مســكتها بيــدي؛ طرت فرحاً بها، وازداد وجدي، وسألته[2] بعدما أخبرته: أنها الأوراق التــي ضاعت مني ليلة التّعنّي، فأراني محلها، ومساحب إرادتهــا، وتعجــب مــن وجدانها بعد فقدانها؛ فحمدت ربي الذي ردها عليّ، وأهداها فضلاً منه إليّ.

---

(١) المِحَفَّةُ بالكسر: مَرْكَبٌ للنساءِ كالهَوْدَجِ إلا أنها لا تُقَبَّبُ. الفيروز أبادي: **القاموس المحــيط**. ص١٠٣٤. ومراده هنا المركِب الذين يجلسون فيه، وينتقلون به في السفر.

(٢) انتهت صقحة٨ من المخطوط.

[وصوله منطقة العُلا، وشِعره فيها]

ولمّا وصلنا العلا[1] سبحنا العليّ الأعلى، وأهدينا الفواتح لمن حلّها من أهل التكريم، وخصّينا بفاتحة الأخ عبد الكريم، فإنه دفن بها بعد العود من الحج المبرور نائباً عن الفقير؛ كما قدّمنا قريباً في هذه السطور. وقلت في هذا المقام من النظام:

إنّ من وافى العلا يرجو العلا	قدره بين البرايا قد علا
قدره بالشوق والتوق علا	ورخيص منه بالقرب غلا
وله كاساته الحبّ ملا	فحلى ما مرّ شرباً في الملا
وكساه ثوب عز وولا	وسقاه من لماه بالولا
وشواه في هواه وقلى	وارتضاه ما جفاه وقلى
لو سلاه فيه ما كان سلا	عن مناه يا خليليّ سلا
وله حاباه جامات ألا	كل شيء ما خلا الله ألا
وبذا أدرك أسرار بلا	وبمن يهواه قد ذاق البلا

(١) العُلا: وهي منطقة تاريخية. بضم أوله والقصر وهو جمع العليا وهو اسم لموضع من ناحية وادي القرى، بينها وبين الشام، نزله رسول الله ﷺ؛ في طريقه إلى تبوك، وبني مكان مصلاه مسجد. انظر: الحموي: **معجم البلدان**. ج٤ص١٤٤. والعَلاء بفتح أوله والمد بمعنى الرفعة موضع بالمدينة المنورة. انظر: المرجع السابق. ج٤ص١٤٤. ويطلق على العُلا عروس الجبال. وتبعد عن المدينة المنورة ٣٨٠كم تقريباً. وتقع على طريق قوافل التجارة، والحجيج.

حيث بالوجـد سـرى نحـو فـلا
حبـه عمّـا احتظـى هـذا فـلا

[وصوله أطراف المدينة المنورة]

وما زلنا نسير إلى أن وصلنا منزلاً، نلنا به غاية الابتهاج؛ إذ يلاقي فيه أهلُ المدينة الحجاج.

[مشاهدة النور الساطع من قبره الشريف ﷺ]

وفي عشية تلك الليلة رأى الناس طلائع الأنوار من ناحية السيد السند الحبيب الطيب المختار[1]. وضجّ الحجيج لرؤية ذلك بالصلاة والتسليم على زين الممالك.

وقد رأيت الإمامَ الهُمامَ الإمام شهاب الدين أحمد بن حجر[2] المقدام سئل عن هذا النور، وهل هو مصطنع، أو أمر محقق مشهور؟ فأجاب: إنّ هذا شيء يسير حقير على صاحب المقام الرفيع الخطير[3]، وردَّ على من أنكر ذكره الحق بذكره الحق؛ إذ يذكر.

---

(١) نقل ابن كثير، فقال: "وقد بقي ذلك النور إلى قيام الساعة؛ ألا ترى أنه يرى النور الساطع من قبره من مسيرة يوم وليلة، هذا لفظه. وهذا الذي ذكره من هذا النور غريب جدا" ابن كثير: **البداية والنهاية**. ج٦ص٢٧٨. وسطوع النور فوق قبره الشريف ﷺ ليس بمستغرب؛ لثبوت الكرامات الكثيرة في القبور.

(٢) هو: أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني أبو الفضل. (ت٨٥٢هـ) أمير المؤمنين في الحديث، شيخ الإسلام، وإمام الحفاظ في زمانه، وحافظ الديار المصرية؛ بل حافظ الدنيا مطلقا قاضي القضاة. ولما وصل المصلى أمطرت السماء على نعشه. انظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: **طبقات الحفاظ**. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤٠٣هـ. ص٥٥٢.

(٣) انتهت صفحة٩.

[النزول عن ظهور الدواب والمشي للمدينة تعظيماً للرسول ﷺ]

ولم نزل نطوي البيد طي طالبين "واد العقيق" لنجري العقيق لا كثبان طي إلى أنْ لاحت للعين لوائحُ القُرْبِ، وطاب للشارب من دموعه هناك الشرب، وحق لنا أن نلثم أخفاف الجمال التي حملتنا إلى أن شاهدنا هذا الجمال. وفي هذا المعنى أنشد الوالد المعنّى:

وإذا المطيّ بنا بلغنَ[1] محمدا فظهورهنّ على الرجال حرامُ

قربتنا من خير من وطئ الثرى فلها علينا حرمةٌ وذِمام[2]

وحقٌ للزائر أن ينشد سكان تلك الدوائر:

فيا ساكني اكناف طيبة كلكم إلى القلب من أجل الحبيب حبيب[3]

---

(١) في المخطوط: بلغنا. هو خطأ، والصواب ما أثبته.

(٢) الأبيات للجوهري قالهن عند قدومه المدينة المنورة، ترجّل عن الدابة وجعل يقول:

رُفِعَ الحجابُ لنا فلاحَ لناظري قَمَرٌ تقطّع دونه الأوهامُ

وإذا المطيُّ بنا بلغنَ محمداً فظهورُهن على الرجالِ حرامُ

قربْتنا مِنْ خيرِ مَنْ وَطئَ الثرى فلها علينا حرمةٌ وذمامُ

انظر: البلوي، خالد بن عيسى: **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**. تحقيق الحسن السائح. دولة الإمارات العربية. ج١ص١٦٣.

(٣) ذكر ابن القيم البيت، ولم ينسبه لقائل. انظر: ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي: **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١٢هـ/١٩٩٢م. ص٢٧١. والقصيدة من روائع القصائد في حبّ الحبيب ﷺ؛ ولهذا أذكر منها:

ولما عجنا[1] على "واد العقيق" ضحى؛ قرأ السلامَ قتيـلُ غـرامٍ مـن سكره صحـا، وسالـت الإمـاق[2]، واضـطربت[3] الأنـواق الخامـدة، وأنفقنا العينَ على شهود العينِ، وحبذا عينٌ تنفق في عين.

لطيبـةَ عـرِّج إنّ بـين قبابهـا حبيبـاً لأدواء القلـوب طبيـبُ

إذا لـم تطـب فـي طيبـة عنـد طيّـبٍ بـه طابـت الـدنيا فـأين تطيـبُ

إذا لـم يُجـب ربنـا فـي حَيِّـه الـدّعا ففـي أي حـيٍّ للـدعاء يجيـبُ

شـربنا شـراباً طيّبـاً عنـد طيّـبٍ كـذاك شـرابُ الطيبـين يطيـبُ

فيـا سـاكني أكنـاف طيبـة كلكـم علـى القلـب مـن أجـل الحبيـبِ حبيـبُ

يـا طبيـب القلـوب أنـت الحبيـبُ أنـتَ أنسـي وأنـت منـي قريـبُ

يـا طبيبـاً بـذكره يتـداوى كـل ذي سـقم فيـا نعـم الطبيـبُ

طلعـت شـمسُ مـن أحـبَ بليـلٍ فاسـتنارت ومـا تلاهـا غـروبُ

إنّ شـمسَ النهـارِ تغـربُ لـيلاً وشـموس الحبيـبِ ليسـت تغيـبُ

---

(١) عجنا: من التعريج أي عرّجنا. انظر: الزبيدي: **تاج العروس**. ج٦ص١٢٤.

(٢) الإماق: البكاء. انظر: الزبيدي: **تاج العروس**. ج٢٦ص٣٧٦. ومُؤق العين طرفها مما يلـي الأنف. انظر: ابن منظور: **لسان العرب**. ج١٠ص٣٥٥. يقصد بكلامه أنّ العيـون سـالت بالدموع.

(٣) في المخطوط: اطّربت، والصواب ما أثبت.

ونزلنا إذ رأينا على البعد المنارات النيـرة، والبنـاء المـدهش نـوره، وتروق آثاره محيره؛ فألقينا عن الرواحل من فرط المسرَّة أنفسـنا[١]، وقلنـا للأنفس: هذا الأنفس الذي من أنفسنا، وأنفسنا، ونزلنا عند رؤية الآثـار مـن السنة لا يقال فيه ليس؛ لأنه أقر على ذلك "وفد عبد قيس"[٢] قال الفـاكهي[٣] رحمه الله تعالى في "حسن التوسل في زيارة أفضل الرسل"[٤] فـي الفصـل التاسع والأربعين، أي من الآداب أن ينزل عـن راحلتـه إذا رأى المدينـة، ومنائرها[٥]؛ تواضعاً لله وإجلالاً لنبيه ﷺ، وأن يمشي للمسجد إن استطاع بلا مشقة شديدة، وإلا مشى قليلاً؛ لأنّ وفد عبد قيس لما رأوا النبي ﷺ؛ نزلوا عن الرواحل، ولم ينكر عليهم. وكان[٦] وكان نزولهم؛ بإلقـاء أنفسـهم قبـل أن ينيخوها. فإلقاء النفس بحيث لا يتأذى، ولا يؤذي الدابة حسن فيما يظهر.

---

(١) قال ابن الضياء المكي(ت٨٥٤هـ): "وما يفعله بعض الناس من النزول عن الرواحل عنـد رؤيتهم المدينة والحرم النبوي ، ومشيهم إما قليلاً، أو إلى أن يصلوا؛ لا بأس به ؛ لأنه ﷺ لم ينكر على وفد عبد القيس حين نزلوا عن الرواحل؛ لما رأوه ﷺ ، وتعظيم جهته ﷺ، وحرمه المقدس بعد وفاته كهو في حياته" ابن الضياء المكي، محمد بن أحمد بن محمد: **تاريخ مكـة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف.** تحقيق علاء إبراهيم، أيمـن نصر. ط٢. بيروت: دار الكتب العلمية. ص٣٤٠.

(٢) انظر: المرجع السابق. ص٣٤٠.

(٣) هو: عبد الله بن أحمد بن علي الفاكهي المكي الشافعي (ت٩٧٢هـ).

(٤) الكتاب مطبوع بتحقيق رضا أحمد الندوي. وله طبعات أخرى.

(٥) لم يكن للمسجد النبوي منائر في عهد النبي ﷺ، ولا في عهد الخلفاء الراشدين. وأول منـارة بناها الخليفة عمر بن عبد العزيز سنة٩٣هـ، في أركان المسجد الأربعة، بطول نحو٢٧.٥م، ثم بنى قايتباي منارة خامسة عند باب الرحمة في سنة٨٨٨هـ. واستمر هذا العدد إلى عهد التوسعة السعودي؛ حيث بنيت منائر جديدة. انظر: عبد الغني: **تـاريخ المدينـة المنـورة.** ص٢٨. ويوجد في الحرم النبوي الشريف اليوم ١٠ منائر.

(٦) انتهت صفحة١٠.

ونقل أنّ العلامة أبا الفضل الجوهري ترجّل عن قريب بيوتها باكياً منشداً:

ولما راينا رَسْمَ[1] مَنْ لم يَدَعْ لنا
فؤاداً لعرفانِ الرُّسومِ ولا لُبّا

نزلنا عن الاكوار[2] نمشي كرامة
لمن حلَّ فينا أنْ نلمّ به ركبا[3]

---

(١) في المخطوط (ربع)، وهذا يتفق مع قصيدة المتنبي، ولكنه لا يتفق مع ما قاله الجوهري؛ لذلك اثبتُ قول الجوهري. ومعنى البيت: يتعجب كيف عرف رسم الحبيب أي داره، وهو الذي أذهب عقله، ولم يدعه يعرف الأشياء؛ بسبب حبه الذي أخذ عقله، وفؤاده.

(٢) الأكوار: هي الإبل. الزبيدي: **تاج العروس**. ج١٩ص١٩٨.

(٣) السمهودي، علي بن عبد الله بن أحمد: **خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى**. ص٥٣. النويري، أحمد بن عبد الوهاب: **نهاية الأرب في فنون الأدب**. تحقيق مفيد قمحية وجماعة. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م. ج١ص٢٩٩. وأصل البيت قصيدة للمتنبي (ت٣٥٤هـ) في مدح سيف الدولة من ٤٥ بيتاً مطلعها:

فديناك من ربع وإن زدتنا كربا
فإنك كنت الشرق للشمس والغربا

وكيف عرفنا رسم من لم يدع لنا
فؤاداً لعرفانِ الرسوم ولا لُبّا

نزلنا عن الأكوار نمشي كرامةً
لمن بان عنه أن نلمّ به ركبا

انظر: المتنبي، أحمد بن الحسين: **ديوان المتنبي مع شرحه العَرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب**. لناصيف اليازجي. بيروت: دار صادر. ج٢ص١٠٩.

وهذا الكتاب يعزي للمحقق المقدم "الهيتمي"[١] الأفخم وكتابه ﷺ "الدر المنظَّم في زيارة القبر المعظم"[٢].

[الوصول للخيام والتأهب لزيارة المسجد النبوي الشريف]

وألقينا في الخيام عصا[٣] القياد، وقلنا: ما بعد العشية من مراد، وبادرنا إلى الزيارة فرحين بمن حللنا داره.

[قصيدة في وصف زيارة المسجد النبوي الشريف]

ومن بابِ السلام[٤] لقد دخلنا ... وأهدينا السلامَ من السلامِ

وقمنا عند شبّاكٍ[٥] نزيهٍ ... ودمعي في اشتباكٍ وانسجام

ورمت شفاعة بالقلب لمّا ... لساني لم يطقْ يحكي مَرامي

---

(١) هو: أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي شهاب الدين المكي الشافعي (ت٩٧٤هـ). البغدادي: **هدية العارفين**. ج٥ ص١٤٦.

(٢) الصواب اسم الكتاب "الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم" ذكره الهيثمي. انظر: ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد: **الفتاوى الكبرى الفقهية**. دار الفكر. ج٢ ص١٣٥. البغدادي: **هدية العافين**. ج٥ص١٤٦.

(٣) في المخطوط عصى. والصواب ما أثبته.

(٤) كانت أبواب الحرم النبوي الشرف أربعة أبواب أولها باب السلام وباب الرحمة، وهما من الجهة الغربية للحرم. وباب جبريل وباب النساء من الجهة الشرقية. انظر: السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م. ج١ص٢٦. واليوم بعد التوسعات الكثيرة للحرم تعددت أبوابه الشريفة.

(٥) يقصد به الشباك المُطِلّ على الحجرة النبوية الشريفة.

وقلت بسرٍّ سرِّي يا مناري ... ومن فيه غرامُ الروح نامي

ومن اهدى إليّ جميل بِرٍّ ... وإنعامٍ وإكرامٍ مُدام

وتحقيق[1] ... وثيق ... وتصديق وتشويق لحام

وإيقانٍ وإتقان عيان ... وإيمان يمانيّ تهامي

وانوارٍ ضواح مشرقات ... وأسرار وأطوار جسام

وما لا استطيع افوه فيه ... من الإحسان والجود التمام

تشفعّ بي لتمحي حُجبَ غيّي ... وتبدو لي الحقيقةُ بابتسام

وتجلي لي الضواحي مسفراتٍ ... عن الوجه الجميلِ بلا اكتتام

عليك الله صلى كل حين ... وسلم ما أتى....[2]

وما وافاك صبّ مستهامٌ ... جريحُ الحبِّ بل دَنِفُ[3] السِّقام[4]

كذا ال واصحابٌ كرامٌ ... لقد أُسقوا بكاساتِ الختام

مدى الاباد ما البكري يرجو الشـــ ... ـــفاعة في الزحام وفي القيام

---

(١) في البيت كلمة ناقصة، لم أعرف قراءتها.

(٢) في المخطوط كلمتان لم أستطع قراءتهما قراءة سليمة.

(٣) دنف: المرض الملازم. الفيروز أبادي: **القاموس المحيط**. ص١٠٤٧.

(٤) انتهت صقحة١١.

[قصة الإمام الرفاعي ومد اليد الشريفة لمصافحته]

وتذكرت في هذا المقام قولَ الإمام الداعي المقدام الواعي، والهمام المراعي للدواعي سيدي أحمد بن حسن الرفاعي[1] قدس الله سره الساعي؛ لأجل أكمل المساعي:

في حالةِ البُعدِ روحي كنت أرسُلها
تقبّلَ الأرضَ عني وهي نائبتي

وهذه دولة الأشباحِ قد حضرت
فامدُدْ يمنيكَ كي تحظى بها شَفتي

وخروج اليد الشريفة له؛ والناس في احتباك، وتقبيلها،[2] وعيون العيون، والقلوب؛ ترمقه عند الشباك؛ فيا لها من كرامة ما أبهرها، ومدامة ما أسكرها.

---

(١) قال الإمام الذهبي(ت٧٤٨هـ): " الإمام القدوة العابد الزاهد شيخ العارفين أبو العباس أحمد بن أبي الحسن علي بن أحمد الرفاعي المغربي (ت ٥٧٨هـ). قيل: إنه أقسم على أصحابه إن كان فيه عيب ينبهونه عليه؛ فقال الشيخ عمر الفاروثي: يا سيدي أنا أعلم فيك عيباً. قال: ما هو؟ قال: يا سيدي عيبك أننا من أصحابك؛ فبكى الشيخ، والفقراء. وقال: أي عمر، إنْ سلمَ المركب حمل مَن فيه" الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان: **سير أعلام النبلاء.** تحقيق شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي. ط٩. بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٤١٣هـ. ج٢١ص٧٧.

(٢) تفاصيل القصة انظرها في: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: **الحاوي للفتاوي.** تحقيق عبد اللطيف حسن عبد الرحمن. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م. ج٢ص٢٤٨. الصفوري: **نزهة المجالس ومنتخب النفائس.** ج١ص٢١١. البيروتي، محمد بن درويش بن محمد: **أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب.** تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١٨ هـ/١٩٩٧م. ص٣٥٧.

[قصة الشيخ محمد البكري في زيارة النبي ﷺ، وشِعره فيها]

وواقعة سيدي محمد البكري المحتسي من عقيق الخمر البكري قدس الله سره، وطيب بذكره ذكري، وسماه "المصراع[1] الأخير من المقام الخطير المنير" على ما حكاه في أبياته أثبته الله تعالى في درج السعد، وأثبتني كإثباته، وهي:

ولما أتينا قبرَ اشرفِ مرسلٍ ... ولاح لنا سرٌّ العنايةِ ينجلي

وغيّب سر الروح في ملكوته ... فصار عن الأكوان في أيّ معزل

وسار من الجمع المحيط لرتبة ... تعالت لسر الذات عن وصف منزل

عرضت عليها ما أردت فقال لي ... لسان التجلي الحق منه بمقول

مجيبا بما أملئه من عطائه ... سمعنا وأعطيناك فوق المؤمل

[الذهول الذي أصاب الصديقي، ثم دعاؤه عند الزيارة]

ومذ أخذ مذكري يرشدني بمقوله؛ ذهلت عن مختصر القول فضلاً عن مطوله، وأطوله.

فالقلب مأسور، والدمع المهجور مطلق، والخد به ممطور، وباب البحر مغلق؛ حيث المكسور بالوصل محبور مجبور.

---

(١) المِصْراعانِ من الشعْر ما كان فيه قافيتان في بيت واحد. ابن منظور: **لسان العرب**. ج٨ص١٩٧.

وسألت الله تقوية الأركان، وتنمية الأشجان، والأركان، وتوفية الشروط، والأركان، وتولية الدوائر، والأركان[1]. وأن تكون الزيارة جمعية[2]؛ لتكمل بتكراره الجمعية. ووفور القوة؛ ليفورَ تنورُ الفتوّة، وأن يتنبه الغافل؛ فيرتقي للأعالي عن الأسافل، ويتملى بشهود الحقائق، ووفود الرقائق؛ فينتهي السير لقبة لا يطير عليها طير؛ تنبع الخير، وتتبع المير، وتمنع الغير عن تمتع بركوب عير[3] دير، أذل ما به عير.

[لاحت لوائح الإجابة، والانفعال بالمشاهد في المسجد النبوي]

وعندما لاحت لوائحُ الإجابة، وفاحت فوائح الإنابة، وطابت كلومُ سهومٍ لم تطب بغير طابه[4]، وغابت نجوم فهوم ملجوم بلجام الكآبة، محكوم عليه مكتوم سر سرَّ به إليه مبلغ آدابه منح سقاية بيت القلب، ورفادة زواره، والحجابة، صليت تحية المسجد لدى المنبر[5]، والعين مشاهدة جمال السيد الأكبر.

---

(١) انتهت صفحة١٢.

(٢) الجمعية مصطلح صوفي يعني: اجتماع الهمّ في التوجه إلى الله والاشتغال به عمّا سواه. وبإزائها التفرقة، وهي توزع الخاطر للاشتغال بالخلق. الكاشاني: **معجم اصطلاحات الصوفية**. ص٦٧.

(٣) العير: هو الحمار. **المعجم الوسيط**. ج٢ص٦٣٩.

(٤) من أسماء المدينة المنورة.

(٥) صح في فضل المنبر النبوي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ "قال منبري على ترعة من ترع الجنة" ابن حنبل: **مسند أحمد**. القاهرة: مؤسسة قرطبة. ج٢ص٤٠١. وقال الأرنؤوط: صحيح. قال سهل بن سعد: هل تدرون ما الترعة؟ هو الباب" الطبراني، سليمان بن أيوب: **المعجم الكبير**. ج٦ص١٧٠.
البيهقي، أحمد بن الحسين: **سنن البيهقي الكبرى**. تحقيق محمد عبد القادر عطا. مكة المكرمة: مكتبة الباز. ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. ج٥ص٢٤٧.

[قصيدة نفيسة في زيارة النبي ﷺ]

وفي هذا المقام الأفخر، والمرام الأبهر الأزهر؛ تذكرت قصيدة من نفائس القصائد، وعرائس الفرائد؛ نقلتها من مجموع جامع، يأخذ من القلوب بالمجامع.

وكان رآها شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم الدكدكجي[1] بلغه الله حرم الأمان، وطابة الإحسان، وأقصى ما يرتجي؛ فأخبرني أنّ جناب شيخنا الغني بربه الممنوح وافر قربه، سمع في زيارته منشداً لها على سدة الحرم النبوي، والمسجد المصطفوي؛ فأَجْرَت المدامعَ كالسحب الهوامِع؛ فطلبها منه؛ ليثبتها في رحلة الكبرى؛ لما عاين أسكار كل صغرى منها وكبرى، فلم يجب الطلب، وعليه حُبّ إمساكها غلب، والقصيدة التي تجتنى، وتجتلب، وتنتقى، وتنتخب هي هذه:

يا عينُ هذا السّيدُ الاكبرُ
وهذه الروضةُ[2] والمنبرُ

فشاهدي في حرم المصطفى
من نوره الساطع ما يبهر

---

(١) الفاضل المتقن المفنن الفقيه النحوي العلامة المحدث الصوفي الشيخ محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم التركماني الأصل الدمشقي المعروف بالدكدكجي الشافعي(ت١١٣١هـ)، الإمام المتفنن البارع الأديب نادرة العصر. كان فاضلاً كاملاً. المرادي: **سلك الدرر**. ج٤ص٢٥. وانظر: ابن كنان، محمد بن عيسى بن محمود: **يوميات شامية**. ص٨٥. البغدادي: **هدية العارفين**. ج٦ص٣١٥. الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير: **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**. تحقيق د إحسان عباس. ط٢. بيروت: دار العربي الإسلامي. ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م. ج١ص٥٠٦.

(٢) عن عبد الله بن زيد المازني ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: "ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة" البخاري: **صحيح البخاري**. كتاب أبواب التطوع. باب فضل ما بين القبر والمنبر. رقم الحديث١١٣٧. ج١ص٣٩٩.

يـــا عـــين إذ مـــا كنـــت تهوينـــه
فمـــــا لأنوائـــــك[1] لا تمطـــــر

هـــذا مقـــام المصـــطفى احمـــدٍ
فمثلـــــه الأعـــــين لا تنظـــــر[2]

فـــــاي يُـــــتم فيـــــه لا ينجلـــــي
وأي كســـــر فيـــــه لا يجبـــــر

ودت نجـــوم الافـــق لـــو انهـــا
كانـــــت قناديـــــل بـــــه تزهـــــر

ما كان اسنى وجنتـــي لـــو غـــدت
موطـــؤة فيـــه لمـــن يخطـــر

إلـــى ثـــراه الزعفـــران انتمـــى
ومـــن شـــذاه المســـك والعنبـــر

كـــل مقـــام قـــد ســـما قـــدره
فـــي هـــذه الحضـــرة يُستصـــغر

---

(١) "الأنواء ثمانية وعشرون نجماً معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها، من الصيف، والشتاء، والربيع، والخريف. يسقط منها في كل ثلاث عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته، وانقضاء هذه الثمانية وعشرين كلها مع انقضاء السنة، وكانت العرب في الجاهلية إذا سقط منها نجم وطلع آخر قالوا: لا بد من أن يكون عند ذلك مطر أو رياح، فينسبون كل غيب يكون عند ذلك إلى ذلك النجم، فيقولون: مطرنا بنوء الثريا، والدبران، والسماك. قال: وإنما سمي نوءً؛ لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب؛ نـاء الطالع بالمشرق؛ ينوء نوءا أي نهض، وطلع" ابن منظور: **لسـان العـرب**. ج١ص١٧٦. ومعنى كلامه ما بال دموع العين لا تمطر هطالة، كما منازل القمر تمطر في مواسمها.

(٢) انتهت صفحة١٣.

قـــد حســـدتها ســـدرة المنتهـــى لمـــا حـــوت والفلـــك الأنـــور

والكعبـــة الغـــراء والمنحنـــى والحجر[١] والأركان[٢] والمشـــعر[٣]

تجمّـــع الفضـــل بهـــا والنـــدى والمجـــد والســـؤدد والمفخـــر

فاستبشـــري يـــا مقلتـــي باللقـــا فمـــن رأى الأحبـــاب يستبشـــر

باســـمك يـــا ربـــي قرنـــت اســـمه فإنـــــه يـــــذكر إذ تـــــذكر

صـــفاته العليـــا كـــل الـــورى عن حصـــره والقطْـــر لا يحصـــر

مـــن خصـــه الله تعـــالى اســـمه بقولـــه فاصـــدع بمـــا تـــؤمر

يا من لـــه جـــاه عـــريض ومـــن لـــه لـــواء الحمـــد والكـــوثر

يـــا أرفـــع الخلـــق مقامـــا ومـــن أجـــلّ مـــن ينهـــى ومـــن يـــأمر

يـــا شـــافع الخلـــق إذا مـــا لظـــى غـــدت علـــى أصـــحابها تزفـــر

---

(١) الحجر الأسود.

(٢) أركان الكعبة الأربعة.

(٣) المشعر الحرام.

ذخيرتـــــي حبّـــك يـــا ســـيّدي فإنـــــه أفضـــــل مــــا يـــــدخر

فبالحشـــــــــا داء مقـــــــــيم ولا يشـــــفيه إلا مــــن بــــه أخبــــر

من عجــزت عــن طيــه قــدرتي رفعـــت شـــكواي لمــــن يقـــدر

وقــــد توســــلت إلـــى الله فـــي شـــفاء دائـــي بـــك يـــا منـــذر

فاشـــفع فـــإني بـــك مستشـــفع وانصـــر فـــإني بـــك مستنصـــر

يـــا رب يـــا الله يـــا ســـيدي يـــا مـــن بعلـــم الغيـــب مســـتأثر

يـــا مســـتجيبا دعـــوة المبتلـــى ودعـــــوة المضــــطر إذ يجـــأر

إنْ لـــــم تـــــداركني بلطـــــف فيا خسري ويا خيبـــة مـــن يخســـر

فعلـــم حـــالي قـــد غـــدا خافيـــا عنـــي فيســـر منـــه مـــا يعســـر

ولـــي ذنـــوب اثقلـــت كـــاهلي إن لـــم تكـــن تغفـــر فمـــن يغفـــر

فانـــت قلـــت اســـتغفروا ربكـــم وإننـــــي جئتـــــك مســـــتغفر

وصل يـــا رب علـــى المصـــطفى وآلـــــه مــــا جـــرت الأبحـــر

وهـــام صـــبٌ إذ همـــا عـــارض وســـار ركـــب أو ســـرى عســـكر

وقلت:

وكنا ظننا بالتقرب تنطفي حرارةُ شوق عن حرارة أكباد

فزاد التداني لوعة وصبابة ووجداً وأشجاناً بجمعي وإفراد

وابدى لمكنون وحرك ساكنا كتحريقِ أعوادٍ وتحريك أعواد

[العودة للخيام ثم زيارة بقيع الغرقد]

وإبنا للخيام بعدما إبنا عن الآثام، وسرَتْ فينا آثارُ تلك الساعة سرياناً سم ساعة؛ من أرقم(١) لسّاعة، وعطفنا بعد هنيه على زيارة "بقيع الغرقد"(٢) الفائق سنا نوره على الفَرقد. وقلت:

زرت بقيـــــــعَ الغرقـــــــدِ وفيـــــه أرجـــــو مرقـــــدي

نـــــزل فتـــــى قـــــد حلـــــه يســــــمو ســــــمو الفرقـــــد

---

(١) الأرقم: الأفعى.

(٢) زيارة البقيع سنة، وفيه مدافن آلاف الصحابة ﷺ، وزوجات النبي ﷺ، ومن آل بيته الطيبين. و"كان رسول اللَّهِ ﷺ كُلَّمَا كان لَيْلَتُهَا من رسول اللَّهِ ﷺ يَخْرُجُ من آخِرِ اللَّيْلِ إلى الْبَقِيـــعِ ، فيقول: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَأَتَاكُمْ ما تُوعَدُونَ غَدًا مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا إن شَاءَ الله بِكُمْ لَاحِقُونَ؛ اللهم اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ" النيسابوري: **صحيح مسلم**. كتاب الجنائز. باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها. رقم الحديث٩٧٤. ج٢ص٦٦٩. وكان مزروعاً بالغرقد. وهو ضرب من الشوك. انظر: ابن الأثير الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد: **النهاية في غريب الحديث والأثر**. تحقيق طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطنـاحي. بيـروت: المكتبة العلمية. ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. ج٣ص٣٦٢. وتقع شرق المسجد النبوي. محمد محمد شراب: **المعالم الأثيرة في السنة والسيرة**. ط١. دمشق: دار القلم. ١٤١١هـ. ص٥٠-٥٢.

إنّ المنايـــــــا لا يطيـــــــــ ـــــــش ســـهامها وكـــان قـــدِ[1]

علـــــى اكــــون مجــــاورا أهـــــل الحمــــى المتوقـــــد

مـــن نـــورهم كالشـــمس يـــــ ـــــسطع فـــي الســـما لمهتـــدي

قـــوم لقـــد فـــازوا بقـــر ب المصـــطفى البحـــر النـــدي

مـــــا فـــــيهم إلا اَســـــعد حـــاز النمـــا مـــن أســـعد

اَو اَرشـــــد يـــــروي الوســــا د عــــن الرشــــيد الأرشـــــد

اَو منيــــة فــــي الاســـــتفا دة بالإفـــــــادة مبتــــــدي

رضـــــي الإلــــــه علـــــيهم مـــــا أمّ فـــــيهم مقتـــــدي[2]

اَو مـــا اشـــتفى مـــن ذكـــرهم صـــادٍ لشـــرب الصَّـــرخدي[3]

اَو مصـــطفى راجـــي الصـــفا وافــــا بقلــــب أجــــودي

وبحــــبِّ طــــه المصــــطفى يرجـــو نجـــاةً فـــي غـــد

---

(١) قدا قدواً، قرُب، والفرس، ونحوه أسرع. مصطفى، إبراهيم، وآخرون: **المعجــم الوســيط.** بيروت دار إحياء التراث العربي. ج٢ص٧٢٧. ولعل مراده أنّ سهامها تسرع في الإصابة.

(٢) انتهت صفحة١٥.

(٣) صرخد: موضع نسب إليه الشراب. ابن منظور: **لسان العرب.** ج٣ص٢٥١. وهــذا مثــل يضرب في لذة الشراب. قال السهيلي(ت٥٨١هــ): "وأما صرخد فبلد طيب الأعناب وإليــه تنسب الخمر الصرخدية" السهيلي، عبد الرحمن بن الخطيب: **الروض الأنف.** ج٢ص١٧٤.

[وصف حالهم ما بعد زيارة البقيع]

وبعد تمام الزيارة، والطواف على من حلّ فيه مـــن أهـــل الإشـــارة[١]، والتوسل بجاههم، وجمالهم، وكمالهم؛ بنيلٍ حميد سعيد فريد حالهم؛ لندرج في مدارجهم، ونعرج في معارجهم، ونقرع أبوابَ رياضِهم، ونكـــرع[٢] أكـــوابَ حياضِهم؛ فيفتح بوّابهم باباً مغلقاً، وتمنح حجابهم كتاباً معلقاً؛ فيفهم تاليـــه مـــا تقتضيه الحضرة من آداب؛ فيواليها، وتواليه بإغداق مبـــرات مســـرات مـــن حضرات وهاب؛ فيبصر المغلوب الضعيف، ويبصـــر المســـلوب الكفيـــف، وينطق الأبكم بالسر المحكم، ويسمع الأصم فوق الأُذين الأفهم.

ولم يزل يدنو، ويتدلى، ويحنو عليه؛ فيتحلّى إلى أن يجلى فوق منصـــات التقريب، ويتجلّى عليه القريب؛ فيسكن الفؤاد السّليب، وينجو مـــن المهـــوب المهيب، وتغنّى له عندليب التحبيب بصوت غريب عجيب؛ فيفهم مـــن هـــذا التغريد سرّ تدريب؛ فيصغى لسره؛ فيسمع وجيباً من به يغيب. ثـــمّ يـــدعى؛ فيجيب إذا الداعي المجيب من مكان قريب.

وعند بزوغ شمس العيان؛ تكون النفس أبعد من أمس؛ بل تفي فـــي آن، وينادي منادي نادي الأمان: يا أهل مقام الإحسان الحسان، ليفض على هـــذا الوارد كل منكم من مغتسله البارد؛ فيتملى منه الوطاب[٣]، مـــا لـــذ وطـــاب ويعود بنفحات الجود المحصور المحدود.

---

(١) الإشارة ما يخفى عن المتكلم كشفه بالعبارة للطافة معناه. أبو خزام، د أنور فـؤاد: **معجـم المصطلحات الصوفية**. ط١. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون. ١٩٩٣م. ص٤٣.

(٢) كَرِعَ في الماءِ، أو في الإناء: تَنَاوَلَهُ بفيه من مَوْضِعِهِ من غَيرِ أنْ يَشْرَبَ بكَفَّيْـهِ ولا بإنـاءٍ. الفيروز أبادي: **القاموس المحيط**. ج١ص٩٨٠.

(٣) الوَطْبُ سِقاءُ اللبنِ وفي الصحاح سِقَاءُ اللَّبنِ خاصَّة وهو جِلْدُ الجَذَعِ فما فوقه. ابن منظـور: **لسان العرب**. ج١ص٧٩٧.

قد كان ما كان ممّا لست أذكره   فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر

[التردد على زيارة الحرم النبوي الشريف]

وصرنا بعد الزيارة؛ نتردد على الحرم المنيــر، وازداد علـــى المعتـــاد الوجدُ المنير.

وجاء الغرام كجراد انتشر؛ يجري العبر، ويغري الفؤاد إذ يغري العبر، ويركب من للمعالي خبر[١] قيل: العبر لا كلّ من عبر، ووجه الملاح غبر.

[وصف ليلة دخول المدينة]

وكانت ليلة دخولنا المدينة[٢] كلّ أمنية للنفس الحزينة الواسعة الخزينـــة المدينة للروح بفتوح أسرار ثمينة، والمدينة بـــأنوار فـــيض الســـبوح آثـــار هواجس كمينة ليلة الثلاثاء، وأقمنا الأربعاء، والخميس الأنيس، وذلك الخامس والعشرين من ذي القعدة المبارك النفيس.

ولم يتيسر لي المبيتُ في حرم التثبيت؛ عند منبع الجود الذي مـــا عليـــه مقيس، إلا ليلة الحبور والسرور؛ بشهود النور المخمسة لرايـــات الحضـــور؛ ولذا سميت بالخميس.

[مكثه في الروضة الشريفة]

وبعد أن صليت العشا، وزال الغشا عن الحشـــا؛ فانتشـــا جلســـت فـــي الروضة الجنانية؛ مواجها للحجرة الشريفة الأمانيه التي منها وعنها ظهـــرت الأنوار العيانية، والأسرار العرفانية، ودحيت منهـــا الأراضـــي السّمســـمية، وغيرها من كل سمية بالمراضي همية.

---

(١) انتهت صفحة١٦

(٢) في المخطوط مكررة مرتين.

ولما هدأ متحرك الليل، وأرخى على أهله سابلَ الذيل، وخلا ملا المسجد من الملا، وفاح الأريج، واشتعل من كبد حرا؛ لما اشتغل المحـــبّ بالحبيـــب؛ نار لها وهيج، وختمت كتاب "الدلائل" الذي على وجه تاليه القبول دلائل.

[الوقوف أمام شباك النبي ﷺ وقراءة وِرْدِ السَّحر]

وصليت ما تيسر، وطويت من الوجد ما لا ينشر؛ تقدمت إلى مـــا بـــين الأسطوانتين؛ مستقبلا للوجه الأزهر، والذات، والعين ولم أتقدم إلى الشـــباك بقلب حزين، وطرف باكٍ؛ واستأذنت في عرض "وِرْدِ السحر" على أســـماعه الكريمة؛ مستمداً لهذا الغرض هنا، ويوم العرض لتاليه من أياديه الجســـيمة؛ راجياً من مولاه من يواليه؛ فيض تدانيه، وتعاليه في مجاليه؛ فأتمته وأنا بـــين يديه واقف ضارع؛ لأبواب منحه الفيّاض؛ مســـتفتح قـــارع، وكنـــت إذ ذاك وحدي، ولم أبد جهدي وجدي[1].

[قراءة وِرْد السحر أمام ضريح أبي بكر الصديق ﷺ]

وتقدمت يسيراً لقبالة وجه جدنا الأعلى، وجدنا الأغلـــى الصـــاحب فـــي الغار، والرفيق في الأطوار؛ فعرضته عليه نظر الله بنظر الخصـــوص إليـــه أيضاً؛ لنخرج من التالي في يد وجوده من حبيب شهوده بيضا؛ فإنه صـــاحب الشيبة البيضا، ويوم السقيفة له اليد البيضا. وهو الـــوارث الأكبـــر المفـــيض للمعارف فيضاً؛ فلا تقس به نهراً؛ بل ولا تعادل به فيضاً، وهو عند محمـــد، ومحمّد عند الله، فاحذر الزاد المشتبه، وانتبه أيها الأواه. وهذا معنى قول ابن الوردي جعل الله ورده الأعلى وردي:

محمد عند الله حيّ وجدنا
أبو بكر الصدّيق عند محمدي

(١) انتهت صفحة١٧.

ونحن على من يودنا سمّ ساعة
من لم يصدق فليجرب ويعتدي

[قراءة وِرْد السحر أمام ضريح عمر بن الخطاب ﷺ]

وبعد إتمامه واتساق عرف تمامه، واجهت وجه المذكور في الكتاب والمشكور؛ في محكم الخطاب سيدي عمر بن الخطاب؛ رفيع الجناب، ومنيع الرحاب، وكررته على أسماعه؛ ليسمع سِرَّ التالي على أسماعه؛ فإنه الوارث الثاني المتحقق بأسرار المثاني الفارق بين الحق والباطل بجني التداني الذي وضع الله الحق على لسانه؛ يقول به؛ فأنعم به من محدِّث رباني، وقضى يعقوب الأماني حاجته منتهياً لوطر التهاني.

[قراءة وِرْد السحر عند باب جبريل عليه السلام]

ولم أنس في أنس هذه الخلوة الحلوة المعاني، والجلوة[1] الجالية الكؤوس الحلوة الخالية عن جاني؛ ما أجراه المبدي المعيد على جناني، وأنطق به لساني من جيرتي، وخلاني، ثم أتيت "باب جبريل"[2] الداخل منه بالوحي، والتنزيل، وأعدته وأرج لقارئه بهذا الجليل واسطة الحبيب، والخليل؛ فهما خاليا من التبديل، وعلماً جلياً ما به تعزيز وتوحيل.

---

(١) الجلوة: خروج العبد من الخلوة بالنعوت الإلهية؛ إذ عين العبد، وأعضاؤه؛ ممحوة عن الأنانية. الجرجاني: **التعريفات**. ص١٠٤

(٢) يقع في الجهة الشرقية للحرم النبوي الشريف، وهو المكان الذي تنزّل فيه جبريل عليه السلام على النبي ﷺ بالوحي الكريم.

[قراءة وِرْد السحر عند ضريح فاطمة الزهراء رضي الله عنها]

ثم بيت الزهراء[1] أتيت، وبالباب صاغراً وقفت، ومــا أبيــت، وقرأتــه راجياً[2] بشفاعة السيدة الفاخرة فاطمة؛ أن تكون إمداداته النفس تاليــه عــن المعاصي فاطمة. وفي الحديث الذي رواه الدّيلمي[3] عن أبي هريرة[4] عــن المختار[5] "أنها سميت فاطمة؛ لأنّ الله فطمها، ومحبيها عن النار"[6].

---

(١) فاطمة الزهراء ﷺ بنت الرسول ﷺ. وبنت زوجته خديجة رضــي الله عنهــا (ت١١هــــ). وسميت بالزهراء؛ لأنها زهرة المصطفى ﷺ. وكانت أحب بنات النبي ﷺ إلى قلبه الطاهر. المناوي، محمد عبد الرؤوف: **سيدة نساء أهل الجنة فاطمة الزهراء أو إتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب**. تحقيق علي أحمد عبد العال الطهطاوي. ط١. بيــروت: دار الكتــب العلمية. ١٤٢٣هــ/ ٢٠٠٢م. ص١٣. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي: **الإصـــابة فـــي تمييز الصحابة**. تحقيق علي محمــد البجــاوي. ط١.بيــروت: دار الجيــل. ١٤١٢هــــ. ج٨ص٥٣.

(٢) انتهت صفحة١٨.

(٣) انظر: الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين: **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**. تحقيق محمود عمر الدمياطي. ط١. بيروت: دار الكتــب العلميــة. ١٤١٩هــــ/١٩٩٨م. ج١٢ص٥٠.

(٤) هو: عبد الرحمن بن صخر الدوسي(ت٥٧هــ) ابن حجر العسقلاني: **الإصـــابة فـــي تمييــز الصحابة**. ج٧ص٤٢٦.

(٥) المختار: هو نبينا محمد ﷺ.

(٦) الحديث موضوع. انظر: الشوكاني، محمد بن علي: **الفوائــد المجموعــة فـــي الأحاديــث الموضوعة**. تحقيق عبد الرحمن يحيى المعلمي. ط٣. بيروت: المكتب الإسلامي. ص٣٩٢. وصح في فضل فاطمة الزهراء أحاديث كثيرة منها؛ قوله ﷺ: "أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران رضي الله عنهن أجمعين" ابن حنبل: **مسند أحمد**. ج١ص٢٩٣. وقوله ﷺ: "فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني" البخاري: **صحيح البخاري**. كتاب فضائل الصحابة. باب مناقــب قرابــة رسول الله ﷺ، ومنقبة فاطمة عليها السلام. رقم الحديث٣٥١٠. ج٣ص١٣٦١.

وجعلت هذه التلاوة الجامعة للطلاقة؛ لما فيها من الحلاوة؛ كالعلاوة، ودعوتُ لملازمه من الطلاب منحاً، وفتحاً، ولمحاً، ونفحاً؛ بدون اجتلاب، واختلاب؛ بل محض جود من الموجود الوهّاب.

وقبيل الإتمام أذّن المؤذن بالفجر؛ فأسرعت، وشرعت فيه مغتنماً للأجر.

[رؤيا منام في فضل ورد السحر]

وكنت رأيت من أيام مبشرة إمدادها يحكي الغمام؛ وذلك أني رأيت أنّ العبد في المسجد النبوي على مشرفه ألف ألف تحيةٍ بالقرب من الحجرة الفاطمية، وهناك جمع من الصحابة الكرام أولي المهابة الأرفعية، ولم أعرف منهم إلا الجدين الأكبرين الأفخرين الأنورين الخليفة الأول[١] والرابع[٢]، وهما يتفاوضان فيما لتالي الوِرْدِ[٣] من الحسنات؛ فحكم المرتضي؛ بأنّ له ستمائة حسنة. وجزم الصّديق الأكبر؛ بأنّ له سبعمائة. والعبد[٤] يسمع على البعد منهما ذلك، فلمّا استفقت؛ سررت سروراً تاماً بما هنالك. وقلت: هؤلاء حسنات كبار، قد ضمنت كثيراً من حسنات صغار.

وقد ذكرت في أوائل شرح هذا الورد المسمى "بالضياء الشمسي على الفتح القدسي"[٥] بعض ما وقع لنا، ولإخواننا في التلاوة وغيرها؛ مما يبشر نفوس الملازمين عليه؛ بحسن سيرها.

---

(١) هو أبو بكر الصديق ﷺ.

(٢) هو: علي بن أبي طالب ﷺ.

(٣) وِرد السحر للصديقي.

(٤) يقصد بالعبد: الصديقي نفسه

(٥) للصديقي ثلاثة شروح لورد السحر: الضياء الشمسي على الفتح القدسي، الفتح القدسي والكشف الأنسي، باعث المنح الأنسي على الفتح القدسي. انظر: بدوي، عمار توفيق:

[العودة للخيام وتكرار الزيارة للحرم النبوي الشريف]

وعدنا للخيام، والغير عن هذا السير ينام. وكررنا العود لأحمد الخلق أحمد، وهو كما قيل: للمحمود أحمد.

[مبيته في الحرم النبوي الشريف]

ولما دخلت ليلة العروبة[1] وأدار مدير السرور كؤوبه؛ بتٌّ في الحرم أيضاً، راجٍ كما عودت فيضاً.

وبعد صلاة العشاء؛ غلب وارد النوم؛ فعُمْتُ في بحره أيَّ عوم، وطفح الكأسُ بخمر النعاس؛ فدافعته؛ فلم أطق. وأيقظت الجفون؛ فلم تفق[2]؛ فقلت: لعل في هذا الوارد الذي استحكم استحكاماً؛ أنْ أرى سرور قلبي في منامي؛ فاستجلى التناعس، والمناما. فكم من نومة؛ أورثت قومة. وكم من رقدة؛ أنتجت حلَّ عقدة. وربَّ نائمٍ قائم. ومفطر صائم. وربَّ نومان في نفسه؛ مصلٍّ في حضرة قدسه.

فسرحت الروح، ولم أشعر بما نالته من فتوح، لا مثلا غيبة باجتلاء عيبه في البلدة طيبة ذات الجمال الممزوج لهيبة، وقلت:

وكم قاف اثار الوسيقة[3] نائم

وصلى إماماً في الرجال بقاف

التذوق الأدبي لورد السحر. بقة الغربية: أكاديمية القاسمي. ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م. ص٣١.

البغدادي: **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**. ج٦ص٤٤٨.

(١) ليلة الجمعة. تسمى الجمعة العروبة. انظر: ابن الجزري: **النهاية في غريب الحديث والأثر**. ج٣ص٤٣١.

(٢) انتهت صفحة٢٠.

(٣) الوسيقة: المجوعة من الإبل. وأصل البيت للأسود بن يعفر وهو قوله:

كذَبْت عليك لا تَزالُ تَقُوفُني كما قافَ آثارَ الوَسِيقةِ قائفُ. انظر: ابن منظور: **لسان العرب**. ج٩ص٢٩٣. والقافي: هو متتبع الأثر.

وهذا عجيب فــوق طــور عقولنـــا
وبـــادٍ لأهـــل الله لـــيس بخـــاف

[زيارته البقيع]

ثم كريت في الصباح على زيارة أهل البقيــع الصــباح، وبعــد صـــلاة الجمعة؛ عزمنا على المسير المنير؛ فودعنا حجرة من أودعنا القلوب لديـــه؛ حبيب حبه للواعج منير، وخطر الآن ببالي؛ فهيج بلیالي قول بعض الأماثـــل؛ ممن ما لَه في ما لَه مماثل:

تحَايـــا يســـتفيد الطيـــب منهـــا
شذا والروض عـــن صـــافي ربـــاه

نصـــافح حجـــرة قـــد حـــل فيهـــا
أجـــــل المرســــلين وصـــــاحباه

[قصيدة رائعة في وداع النبي ﷺ]

وقلت مرتجلاً في وقتي الحاضر؛ لما تذكرت محاضراً يرى فيها الغائـــب ما لا يرى الحاضر:

نسيمُ القـــرب مـــن ذاكـــي حمـــاهُ
وســـيمُ الشـــرب طيبـــه لمـــاهُ[1]

وطيب الوصل مـــن حـــي التـــداني
وكـــأس مـــــن حميـــــاه حمـــــاه

ومن قاني قنـــاني الصـــرف بِكـــرٌ
بهـــا الأبكـــارُ كـــالبكري تـــاهو

وعَرف البان مـــن بـــان التلاقـــي
يضـــوّع يمـــلأ الـــدنيا شـــذاه

(١) اللمى: سُمْرَةٌ في الشَّفَةِ، أو شُرْبَةُ سوادٍ فيها. الفيروزأبادي: **القاموس المحيط**. ص١٧١٦.

وأرواح القبــــول ســــرت سُـــحيرا
على مـــتن القبـــول لهـــا انتبـــاه[1]

وأرجـــــاء المنــــــازل عـــــاطراتٍ
بأنـــــــداها فتـــــــاه بهـــــا فتـــــاه

وهبــــات الهبـــات بـــارض نجـــد
ونشـــــر الغــــور صـــــافحه نـــــداه

وروح الـــروح والريحـــان يهـــدي
عبيــــر الحــــان إذ يبـــدي ربـــاه

ونفح الطـــاس مـــن خمـــر قـــديم
ورشح الكـــأس قـــد أســـدى جنـــاه

واطيـــاب تهـــبّ مـــن المغـــاني
علـــى أهـــل المعـــاني فـــي هـــواه

وكــــل تحيـــــة تجبـــــي وضـــــاء
وأثنيـــــة تـــــذل لهـــــا الجبـــــاه

وتســـــــليم وتكـــــــريم مقـــــــيم
وتعظـــــيم يفـــــوق عـــــلا ســـــناه

وتقـــــديس وتأســـــيس نفـــــيس
لـــــه عطـــــر لمضـــــناه ســـــباه

وكاســـــات كســـــت اثـــــواب عـــــزّ
مضـــــمخة لهـــــا قـــــدر وجـــــاه

وخمـــــار لــــه الخمــــار يســـــقي
لمخمـــــور فيفنــــى مـــــا ســــقاه

لأرض حقيقــــة تـــــدنى فتغنـــــي
فقيـــــراً بالـــــذكا ذاكٍ حشـــــاه

---

(١) سُحيراً: تصغير سَحر. الزبيدي: **تاج العروس**. ج١١ص٥١٤. يعني وقت السَّحر.

تبـــاكرُ حجـــرة فيهـــا المحيّـــا ... ختــــام الأنبيـــــاء وصـــــاحباه

عليـــه الله صـــلى كــل حـــين ... وســـلم مـــا أ تـــاه مصـــطفاه

وال ثـــم اصـــحاب نشـــاوى ... برؤيـــاه وحقـــك لـــن يضـــاهو

واتبـــاع بنـــور النـــور ســـاروا ... فطـــاروا فـــي معـــالٍ مـــا تتـــاهوا

ومـــا المشـــتاق لـــلاذواق يهفـــو ... إلـــى التقريـــب لمـــا أنْ دعـــاه

وادنـــــاه واعطـــــاه منـــــاه ... ومنّـــــاه وحابـــــاه رضـــــاه

وافنـــــاه وابقـــــاه لديـــــه ... ورقّـــاه فـــزال بـــه غطـــاه

وأهـــداه هـــداه فصـــار فيـــه ... يـــراه فـــلا يـــراه إذن ســـواه

لانّ الغيـــر يـــا ذا الســـير وهـــمٌ ... فمـــــن أفنـــــاه مـــــولاه أراه

[كتب فضائل المدينة المنورة، وقصيدة في وداعها]

ولو استقصينا ما ورد في فضل المدينة، ومسجدها، وروضته، والبقيـــع، ورفعته، ومساجدها الرفيعة، ومعابدها المنيعة، وجبالها المرغوبة، وأوديتهـــا المحبوبة؛ لاتسع المجال للوارد في هذه المصادر، والموارد.

وقد أفصح بعض إفصاح بكسب التجار الحافظ أبو عبد الله محمد النجار صاحب الزواهر والجواهر الثمينة[١] في كتابه "النزهة الثمينة في[٢] المدينة"[٣] وكم ألّف فيه نحرير دار فيه يبرز قلائد تحرير.

وقلت الآن في طابة الجابرة القاصمة ظهر نفوس جائرة في فضلها مكابرة:

شرفتموا يا ال طيبة في الورى	بحقيقة شرفت بها أم القرى
وتشوقت وتشوفت لرحابكم	إذ حلَّ فيها خير من وطئ الثرى
مولى لقد سكن المدينة جسمه	وبذاته كل العوالم نورا
وبه وعنه الكائنات تكونت	إذ كان للنور الإلهي مظهرا
ولقد غدت محبوبة مخطوبة	مرغوبة يندي ثراها عبهرا[٤]
مجبورة معمورة مغمورة	بموارد أضحت تميس تبختر

(١) انتهت صفحة٢١.

(٢) كلمة ساقطة من المخطوط. ولعلها في أخبار.

(٣) اسم كتابه هو: "الدرة الثمينة في أخبار المدينة" للحافظ أبي عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن الحافظ الكبير محب الدين بن النجار البغدادي(ت٦٤٣هـ). انظر: الكتبي، محمد بن شاكر: **فوات الوفيات**. تحقيق علي محمد بن عوض الله، عادل أحمد عبد الموجود. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية. ٢٠٠٠م. ج٢ص٤٣٤. البغدادي: **هدية العارفين**. ج٦ص١٢٢.

(٤) العبهر: المُمْتَلِيءُ الجسمِ والعظيمُ والناعمُ الطَّويلُ من كلِّ شيءٍ كالعُبَاهِرِ فيهما والنَّرْجِسُ والياسَمِينُ ونَبْتٌ آخَرُ فارِسيَّتهُ بُسْتانُ أفْرُوزَ وبهاءٍ : الرَّقيقَةُ البَشَرَةِ الناصِعَةُ البياضِ والسَّمينَةُ المُمْتَلِئَةُ الجِسمِ كالعَبْهَرِ والجامِعَةُ للحُسْنِ في الجسمِ والخُلُق. الفيروزابادي: **القاموس المحيط**. ص٥٥٩.

ومحبـــــة للنـــــازلين محبـــــة ... للكســـر جـــابرة بوصـــل أســـفرا

وهي التي قصـــمت لظهـــر معانـــد ... في فضـــلها بأدلـــة تحلـــي الغـــرا

ويحق أن تزهو على أهـــل العـــلا ... إذ حلها عرش العـــروش بـــلا امتـــرا

وبه تسمت فـــي المـــلا مرحومـــة ... للرحمة العظمى التي فيهـــا تـــرى

يا أهل طابة فاشـــفعوا كـــي تـــؤجروا ... لمتـــيم مـــن قبـــر نفـــس بعثـــرا

يا أهل جنة قربـــة مـــن مـــاء إحســـ ... ـــان أفيضـــوا إنكـــم أهـــل القِـــرا

ولـــديكم حـــب المهـــاجر نحـــوكم ... مـــولاكم عـــنكم بهـــذا أخبـــرا

ولكم مـــن الإيثـــار أوفـــى قســـمة ... في القِلّ كيف مع اليســـار أيـــا تـــرى

من مثلكم حـــاز البحـــور زواخـــرا ... ويقول يـــا عطشـــاه قلبـــي ســـعِّرا

من مـــثلكم جمـــع الكمـــال بأســـره ... ويقول كلّ الصيد في جـــوف الفِـــرا

من ذا يضاهي بقعة فخـــرت بمـــن ... قـــــــــد حلهـــــــــا...(١)

أكرم بها من بقعة عجنت بطيـــنـــــ ... ـــــته فعـــزت رفعـــة وتصـــورا

ولـــه تـــدلٍ فـــوق كـــل معـــزز ... ومـــوقر حيـــث المصـــور كبـــرا

---

(١) بعدها كلمات غير مقروءة.

يا ساكن الهدرا(1) اغث عبدا هفـــا هفــــــــــــــــــــا
واحنن عليه فإنـــه حـــل الـــذرا(2)

وارؤف به انت الرؤوف كما اتى
نصّا كفى من وَكْفِ(3) عين ما جرى جـــــــــــــــرى

والقلب حـــدثني بانـــك مســـعفي
يا متلفي إذ مـــن غيـــاب أحضـــرا

فاعطف عليّ بحق ذاتــك كـــي أرى
عيشي اليبيس بوصل وصلك أخضرا

وانظر إلي بنظـــرة مخصوصـــةٍ
يمسي بها روض الأمـــاني شـــمرا

....
أسري بها نحو الحبايـــب مؤســـرا

واحل منـــزل مســـعدا بـــاد بـــلا
مهل واشرب مـــن عتيـــق كـــررا

واتيه بين ذويـــه فـــي روضـــاته
متهاديـــاً أممـــاً لقصـــر أســـكرا

تعلو المياه إليـــه مـــن صـــحرائه
فيحـــاؤه تهـــديك مســـكاً إذ فـــرا

وبقاعـــه بتلوّنـــات زهورهـــا
قـــد طيـــب نـــدا.. عـــودا عنبـــرا

سقيا لأيام مضـــت فـــي قـــربكم
جَفَتِ الجفون لطيبها طيـــب الكـــرا

---

(1) الهدرا: ماءَةٌ بِنَجْدٍ لبني عُقَيْلٍ، وبَني الوَحيدِ. الفيروزأبادي: **القاموس المحيط**. ص٦٣٩.

(2) انتهت صفحة٢٢

(3) وكَف الدمعُ والماء وكْفاً ووَكِيفاً ووُكوفاً ووَكَفانـــاً ســـال. ابـــن منظـــور: **لســـان العـــرب**. ج٩ص٣٦٢.

يا سيد الشفعاء كــن لـــي شـــافعا يوماً يكـــون بـــه المكـــتم مجهـــرا

وقديم عهد مـــن حـــديث محبـــة ما كان قـــط حـــديث هـــذا يفتـــرا

بل ذاك صدق قـــد رواه صـــادق صدق المحدث والحديث كما جـــرى

ما حلت عن حبي وفرط صبابتي إني وطير يغاث شـــوقي استنســـرا

كتب الغرام بلوح ســـري احرفـــا مهموسة لم يـــدرها مـــن قـــد درا

بالسّفح كم سفح المحـــبّ مـــدامعا نزحت كما نزح الحبيـــب إلـــى حـــرا

واتاه جبريـــل الامـــين مخاطبـــا اقـــــرأ وأولهـــــا عليـــــه كـــــرّرا

ثم ارتقى حتى استقى من ابحـــر منها بهـــا أســـقى الـــدليل فحيـــرا

صـــلى عليـــك الله منـــه مســـلما ما العســـكر المنصـــور يهـــزم عســـكرا

والال والاصحاب ما نجم ســـرى أو ما هلال حـــين وجهـــك بـــدرا

او مصطفى قدام ســـاحك بالوفـــا فحبى بروضـــكم ربيعـــاً مزهـــرا

[قصيدة مدح النبي ﷺ]

وكنت سألت في السّر عن الراحة ففاح الريحان، وعن الأمان في المسير فهبّ عطر السيبسان[1]:

وكم رمت مدحا في الجناب المحمدي
فمـــا طـــاوعتني مـــن مهـــا...[2]

وكريت بالمداح في الـــذات اقتـــدي
لعلي أن أنجـــو بـــذلك فـــي غـــدي

فإنه ﷺ على تفنن واصفيه بوصفه، يفنى الزمان وفيه ما لم يوصـــف؛ لـــوافر لطفه، وعطفه، وظرفه، ورحم الله "أحمد بن محمد"[3] من أعزنا طه، ومنحـــه بحسن أدبه بكل جميل إحاطة، وغفر له تفريطه وإفراطه، ومدّ فسطاط قربه، وبساطه؛ حيث قال خفف الله عنه الأثقال[4]:

أروم امتداح المصـــطفى فيردنـــي
قصوري عن إدراك تلـــك المناقـــبِ

---

(١) انتهت صفحة٢٣. والسيبسان شجرة، لها رائحة طيبة.

(٢) كلمة غير مقروءة.

(٣) هو: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بـــن جـــزي الكلبي أبو القاسم من أهل غرناطة وذوي الأصالة والنباهة فيها. التلمساني، أحمد بن محمد المقري: **نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيـــب**. تحقيق د إحسان عبـــاس. بيـــروت: دار صادر. ١٣٨٨هـــ. ج٥ص٥١٤.

(٤) انظر: ابن فرحون اليعمري، إبراهيم بن علي: **الديباج المذهب في معرفة أعيـــان علمـــاء المذهب**. بيروت: دار الكتب العلمية. ج١ص ٢٩٦. التلمساني: **نفح الطيب**. ج٥ص٥١٤.
ومن القصيدة قوله:

ومن لي بحصر البحرِ والبحر زاخرٌ   ومن لي بإحصاء الحصى والكواكبِ

ولـــو انّ كـــل العـــالمين تـــالفوا
على مدحه لم يبلغوا بعض واجــب

فامســكت عنـــه هيبـــة وتواضـــعا
وخوفـــا وإعظامـــاً لأرفـــع جانـــب

وربّ ســكوت كـــان فيـــه بلاغـــة
وربّ كـــلام فيـــه عتـــب لعاتـــب

[قصيدة ما لعاص حرّ الذنوب كواه]

وكنت وأنا في المحفّة المثقلة بغفلاتي؛ فهي غير مخفة أتســلى بــبعض كتابات مالها حقارة خاطب؛ لأنّ الناقد يراها في عينه جمع حاطب؛ فمن ذلك قصيدة نائبة على لسان السّادة الصّــوفية، وأخــرى فــي الجنــاب الرفيــع، والحجاب الأعظم المنيع؛ فأمّا الأولى فسَطَتْ على مسودتها يــدُ الزمــان إلا بعض أبيات حسان ثمان. وأما الثانية الثانية العنان لمدح ســيد الأكــوان ذي العيان فمطلعها:

مـــا لعـــاص حـــرّ الـــذنوب كـــواه
ولقـــاص قـــرّ العيـــوب فـــراه

وكلـــيم يشـــتمّ طيـــب البـــوادي
وســـــقيم أعيـــــا الأســـــاة دواه

وفقيـــر إلــــى العطـــا وحقيـــرٍ
وكســـــير تعاظمـــــت بلـــــواه

ولجـــان جنــــى جنــــيّ ذنـــوبٍ
ذوقهـــا العلقمـــيّ أصـــما حشـــاه

ولخاط مهما خطـــا اخطـــا الســير
عـــن الخيـــر حيـــرة مـــا نحـــاه

غير مــولى دنـــى علـــى وتــدانى فوق قاب قوســين مــن مــولاه[1]

وبعمــــــــــــر لـــــــــــه ...... وبنـــون أثنـــى عليـــه الإلـــه

ســـيد المرســـلين انـــت مـــرادي واعتمـــادي وعـــدتي فـــي حمـــاه

ســـند العـــاجزين انـــت عيـــادي ومـــــلاذي مـــــولاي إذ ألقـــــاه

ادم مـــن يليـــه تحـــت لـــواء منـــك يـــوم القيـــام يـــا مرتضـــاه

وعليـــه بـــك الإلـــه لقـــد تـــا ب فـــأكرم نجـــلا أغـــاث أبـــاه

ولكم فـــي مشـــاهدة الـــذات ســـير وأبـــوكم بالاســـم كـــان ارتقـــاه

وكذا نـــوح فـــي الســـفينة انجـــى ثـــم إدريـــس فيـــك نـــال منـــاه

وكذاك الخليـــل انجـــي مـــن النـــا ر بنور مـــن نـــوركم قـــد كســـاه

وكـــذاك الكلـــيم حـــاز جـــوازا ضمن بحـــر فـــيكم رقيبـــي حبـــاه

لن تراني جـــواب موســـى وانـــتم قـــــد أريـــــتم ومـــــن أراه رآه

حاسر الوجه انـــت بعـــد التجلـــي وهـــو بالحـــال غبـــه عطـــاه

وبك الروح ميـــت الجســـم احيـــى وارتقـــى للسّـــما وســـوف تـــراه

نـــازلا حاكمـــا بشـــرعة طـــه كاســـر الصـــليب لـــن يرضـــاه

---

(١) انتهت صفحة ٢٤

والشقي الدجال يقتل جهرا   باب لُد ومن حذا حذواه

ثم في سهوة يكون ثويّا   جار خير الأنام قرب فناه

اكمل الخلق اجمل الخلق ذاتا   وصفات لذا يرى من يراه

مذ اتاهم وهم بظلمة شرك   ضمن كون وزال عنه دجاه

ودع قومه واذوه جدا   ولهم كان بالرشاد دعاه

ولهذا الخلق العظيم عليه الله   أثنى في نون حيث ارتضاه

وكذا سورة الضحى انبأتنا   أن سيرضيه في العطا مولاه

داعي من السّت يدعو وأما   من عداه فعنه كان دُعاه

بعد اخذ الميثاق قدما عليهم   أن يطيعوا ويقتفوا مسراه

وإليه اشار لو كان موسى   في زماني لما الأصيل أتاه[1]

امّ بالانبياء في المسجد الاقـ   ـصى ونزل الهدى رقا أقصاه

وله عن يمينه صخرته المر   قاة منصوبة فجلّ ارتقاه

وإلى الحجب صار يخرق شيئا   بعد شيء والمنتهى مبتداه

وهناك الامين كعكع عنه   لو تقدمت والجلال اعتراه

---

(١) انتهت صفحة ٢٥.

ثـــم مـــا زال يرتقـــي فيـــه حتـــى ... عجز الخلـــق كيـــف كـــان فتـــاهو

وبه النـــور زج فـــي النـــور قربـــا ... قـــد تلاشـــى عنـــه بـــه فـــرآه

ولهـــذا اجـــاب حـــال ســـؤالٍ ... هـــل رأيـــت الإلـــه أنّـــى أراه

وعليـــه أفـــاض كـــل المعـــاني ... وعلـــى حمـــل ســـرها قـــواه

وهـــو الجـــامع الحقيقـــي حقـــا ... باســـمه الجـــامع الرفيـــع اخـــتلاه

ورياض الأســـرار منـــه ارتواهـــا ... وحيـــاض الأنـــوار منهـــا ارتـــواه

رتـــب ترجـــع الأمـــاني حســـرا ... عنـــــدها لُـــــذْ للحشـــــا أوّاه

لو محى عن عيـــون قلبـــي غيونـــا ... كـــان بـــالفيض إذ محـــا أغنـــاه

او محـــاني عنـــي بنـــور شـــهود ... زاد وجـــــدي وبالفنـــــا أبقـــــاه

هـــو انـــي وإن إنـــى وإنـــى ... غبـــت عنـــي لمـــا شـــهدت ســـناه

يا إمامـــا اعنـــاق اهـــل المعـــالي ... مـــن جـــلال ذلـــت لـــه والجبـــاه

انت نـــور الوجـــود والغيـــر فـــانٍ ... أنت سر المشـــهود يـــا مصـــطفاه

ذو المقام المحمود كن عـــون صـــبٍّ ... مـــذنبٍ ســـرفٍ رضـــاكم منـــاه

ذو اللوا المعقـــود تفـــديك روحـــي ... إنّ وعـــد التقريـــب طـــال مـــداه

خيـــر راق علـــى البـــراق ترفـــق ... بمعنّى يصـــبو لكـــم مـــن صـــباه

بيدي خذ يوم القدوم وصحبي ... يا رسول القيوم يا مجتباه

يا رسول الإله بالله عطفا ... لبكيٍّ تجري الدّما عيناه

ملجا الوافدين انت مجيري ... ونصيري فأنجدني يوم لقاه

كعبة القاصدين انت إمامي ... ومرامي فاكشف لقلبي غطاه[1]

عدّتي عمدتي اعني اغثني ... إنّ درجي أعيا الذي كتباه

وتلافى جودا فتى اخرته ... عن حماكم نحو المعاصي خطاه

ابق عن حمى التداني تسامى ... في الخطايا عمد له وخطاه

حكمت نفسُه عليه ودنيا ... وشيطانه كذا وهواه

فاجره ينجو بجاهك منهم ... يا حبيباً قلبي غدا مأواه

يدّعي الحبّ فيك وهو حليّ ... بالتخلي حقق له دعواه

يشتكي دأبه ذنوبا جناها ... بالتجلي كن راحماً شكواه

يترجي الرضا وشرب الحُميّا ... لا سوى ذين والذي سوّاه

كنت في البعد أطلب القرب ها قد ... بلغ العبد في الرجا منتهاه

هذه طيبة وهذا المفدى ... والمقام الذي لقلبي مناه

---

(١) انتهت صفحة٢٦

هـــذه الروضـــة الشـــريفة ســـحّي ... يا عيوني ولا تشـــيحي فهـــا هـــو

هـــذه الحجـــرة التـــي حجرَتنـــا ... عن شـــهود الســـوي فعفنـــا ســـواه

ثـــم قالـــت لـــم ترتـــق كارتقـــائِي ... مرتقى عـــن عـــلاي كـــان عـــلاه

كـــل نـــور فمـــن ســـناي ســـناه ... كل ضـــوء فمـــن ضـــيائي ضـــياه

كـــل حـــال عـــال فعنـــي بـــادٍ ... كـــل ســـار غـــال فبـــي مســـراه

كـــل نـــادٍ نـــادٍ بنـــديِ نـــداه ... كـــل هـــاد صـــادٍ فمنـــي ارتـــواه

ما جمال فـــي الكـــون إلا جمـــالي ... مـــا كمـــال إلا كمـــال انتهـــاه

مـــا وجـــود إلا وجـــود وجـــودي ... عـــمّ َكـــل الوجـــود حتـــى كســـاه

اه اَوّاه قـــد جَفتنـــي جُفـــوني ... وفـــؤادي أواه مـــا أقســـاه

ما نشـــرنا ذكـــر الســـوى قـــط إلا ... جـــاء منشـــور حـــبّكم فطـــواه

علقم الحبّ لـــم يذقـــه ســـوى مـــن ... فـــي ليـــالي اللقـــا جنـــا حلـــواه

مـــا حـــدا حـــادي الركائـــب إلا ... حـــرّك الوجـــدَ بالـــذي قـــد حـــداه

وإذا صاح باســـم اســـما وعلـــوي ... فهـــو رمـــز وأنـــتمُ علـــواه(١)

وإذا مـــا روى المحـــدث عـــنكم ... نرتـــوي بالسّـــماع فيمـــا رواه

---

(١) انتهت صفحة ٢٧.

عبدكم عندكم اقام بذل … وانكسار منواله بمناه

قربوا قربوا الشموس الضواحي … حجبوا عنه كل واش لحاه

وامروا عالم الحقايق يبدو … مسدلاً للسّرّ كيما يراه

وارشفوا واكشفوا ستورا خمورا … وارفعوا الذات واشفعوا كي أراه

هذه هذه احبائي هذي إنها … بغية الصّبِّ فامنحوا ما ابتغاه

نحن اضيافكم وضيف الموالي … والموالي قد أكرموا مثواه

لست اسلو حبي معاهد شربي … لو سلا القلب بغيتي ما سلاه

بالصّديق الذي بحبّك قد … أنفق أمواله وخلى عياه

والرفيق الرفيق في الغار جدي … والعتيق عبق طيب شذاه

والضجيع الرفيع قدرا وجاها … بالتداني ممن هواه براه

وابي حفص الذي قد اعز الله … فيه الإسلام حين اجتباه

وبعثمان ذي الحياء وذي الإ … يمان بالقرب ربه أولاه

وبزوج البتول سامي المرامي … من حبيب الإله قد آخاه

وبنت الرسول فاطمة الزه … را وما ذاك الكساء حواه

لا ترد الكسير من غير جبرٍ … وامح ذنبي الكبير يا الله

يــا نبــي الهــدى بجاهــك عنــد
الله كـــن شـــافعي ليـــدنو لقـــاه

تــاه فكــر المثنـــي عليــك كمــا
كلـــت مـــن امتـــداحك الأفـــواه

مقتفي مصـــطفى الشـــفاعة يرجـــو
فبها جد يـــا مصـــطفى مـــن أتـــاه

وصـــلاة عليــك فـــي كـــل وقـــتٍ
وسلام مـــا القـــوم بالحـــب تـــاهوا

وعلـــى الـــك الكـــرام وصـــحبٍ
من برؤيـــاك كـــل جيـــل يبـــاهوا

وعلى التـــابعين مـــا ســـار ســـارٍ
نحـــو ليلـــى أواب مـــن لـــيلاه

او شـــدا مصـــطفى بقلـــب وجيـــع
ما لعاصٍ حـــرّ الـــذنوب كـــواه(١)

[قصيدة تجرّدت عني على لسان السادة الصوفية]

ووقفت بعد مدة على أوائل القصيدة الأولى، فرأيت إثبات بعض أبيـــاتٍ منها هنا من الترك أولى، وهي:

تجردت عني حين شـــاهدت ميّتـــي
وفيها بهـــا أمســـيت حيّـــاً كميّـــتِ

واثبتت مذ الفيـــت غيـــر وجودهـــا
وجود شـــراب لا ســـراب بقيعـــةِ

واحضـــرت مـــذ غيبـــت بنورهـــا
وصحوي فيها كان من بعـــد ســـكرت

وافنيت وهمي حين ابقيـــت باللقـــا
وعنه كستني خرقتي خير خرقتـــي

وسرت وسارت مهجتي بمســـيرها
وما سرت لهـــا المعنـــى بالمعيـــة

---

(١) انتهت صفحة٢٨.

وكم وقــف الســيّار وقفــة حــائرٍ   كما عكف الطيــار فــي دار قربــةِ

وفي عقل عقل ضل فيه فما اهتــدى   ومن ضل في المحبــوب يهــدي لحيــرة

وقد وحد الافعال فــرد راى المنـــى   هو الفاعل المختار من غير شــركة

واسمى ارتني الاسم والوصف وصفها   فأسمى سماء دون رفعــة رفعتـــي

جلا النور عنا ظلمة الوهم فــامتلا   خلا القلب علماً بـــالفهوم المحيطـــة

على القبة الخضراء كان اجتماعنـــا   وذا الجمع فيه ســر جمــع وفرقـــة

وشاني علا لما على السّر خيّمــت   مـــداركنا والـــذات بـــالبر عمـــتِ

وقــد نظــم المنثــور حــل معقــد   وحالات وجد الوجد تنفـــى لســبتتي

وعند اتحاد الصــبّ فــيمن يحبــه   يلوح بلــوح منـــه أســرار وحـــدة

ومعنـــى اتحـــاد المســتهام فنـــاؤه   بنور التجلي عــن شــهود الأنيـــة

فيفنـــى ويبقـــى بـــالولي مشـــاهدا   عجايب نور في حضـــور وغيبـــة

ويبقى فيسقى من شـــراب مقـــدسٍ   ويرقى ويلقى كل نصـــر ونضـــرة

ودمية قصر فـــي الفلايـــل تتجلـــي   وتنشــــر آلاءً لأليــــة بغيتـــــي

وتبعث ما بالعقــل يبعــث حســنه   وتلبث تهــدي نفثـــة بعــد نفثتـــي

ويا ليت قــومي يعلمــون مواهبـــا   عزيزة شـــأوٍ نلتهـــا عنـــد عزتـــي

على مثلها شقت مرائر جيرة ... لقد وقعت في حيرة بعد حيرتي[1]

فكم ببابي من نعمة عظمت وكم ... دماء على ما دون هاتيك طلت

خليليّ سيرا بي لسربي وعترتي ... فقد عظمت لما استقليت عثرتي

اتحسب نيل العزّ يا عز هينا ... فكم أنفس شفت له ما تشفت

عليك تفرق الجمع من بعد جمعة ... فلازم حمى سر العبودة واثبت

وإن فاض كاس من مدير خمورها ... فصن سره وارعَ له في الأجنة

فإنّ فؤاد الحر قبر ودائعٍ ... ومجلس خافي السر فوق المجرة

لا تكتم الاسرار عن اهلها ولا ... تفدها فتىً لم يطلبنها برغبة

وقلب على نار النوى قلب صبهّا ... ليألف فيه حمل كل مشقة

وإن تدر اسرار العمى لم تر العمى ... وفي كنت كنزاً يبدو سر الهويّة

متى زال غين العين لاح غناؤها ... وفيه يتم الفقر والفقر لبّتي

وجاهد بنفسٍ تدع امّارة عسَى ... بلوّامة تسمى فتسمو بهمَّة

ويلهمها التقوى فتقوى على التقى ... ويدعوها الأحباب بالمطمئنة

وترضى بما يقضى عليها القضا من ... أمور فذي مرضية للأحبَّة

---

(١) انتهت صفحة٢٩.

وبعـــد كمـــال فهـــي كاملـــة بـــلا وجـــود دعـــى أنســـية وأنيســـة

وعمّر بذكر الحـــبّ قلبـــا مخربـــا وخرب بيوتاً عمّرت حـــال غفلـــة

وفي ذكر ذكر الذكر يبدو لك الســـنا وتشـــهد أســـراراً أتـــت بالمســـرة

خفا الاسم لما أن عفا الرسم وامحى وناب المنى عنـــه بنحـــو وغيبـــة

وشاب معنـــىً بالصـــبا قـــد صـــبا وشاب بما الأنـــس صـــهبا صـــبت

ولما اتخـــذنا بـــالهوى بـــان بيننـــا تحققت في فقدي لوجـــدي بوحـــدتي

وأنسيت في حفظ العهـــود لحوتنـــا وفي قصّي الآثـــار فـــزت بوصـــلة

[الوصول إلى رابغ والإحرام منها والمرور ببدر]

وبعد أن ودّعنا أماكن نورها نابغ، وثوب أنعامها سابغ، وحبهــا للقلــوب دابغ. وصلنا منزل رابغ(1)، وأحرمت بالحج واستعملت العجّ(2). وسبقنا الحج المصري إلى بدر(3). وابتدرنا المسير(4) بعدهم بيســير أي بــدر. وأهــديت شهداءها؛ إذ مريت بهم فواتح فوايح، ولوامح حواتم لوايح.

[قصيدة في أهل بدر]

وغبطتهم فيما حصل لهم من مغفرة مسفرة بإنعام تامة عامة للســوابق، واللواحق إمداداته مكفرة وقلت:

لا تعــــــذلوني بحـــــبٍ ... يعلـــو علـــى كـــل بـــدر

واهلــــه لـــم اؤاخـــذ ... فـــإنهم أهـــل بـــدر

وقلت:

يـــا لايمـــي بافتتـــاني ... فـــي حـــب بـــدر ســـباني

ســـكران مـــن خمـــر حســـنٍ ... تعديـــه كـــل الحســـان

---

(1) رابغ: مدينة تقع على ساحل البحر الأحمر، وهي ضمن حدود المملكة العربية السعودية.

(2) العج: هو رفع الصوت. يقال: عجّ على الله بالدعاء، والتلبية. انظــر: **المعجــم الوســيط**. ج2ص590.

(3) بدر: تقع على بعد 15كم جنوبي غربي المدينة المنورة. انظر: **أطلس العصر النبوي وعصر الخلافة الراشدة**. اعداد سيف الدين الكاتب. حلب: المؤسسة العلمية للوسائل التعليمية. ط1. 1429هـ. ص55

(4) انتهت صفحة30.

شـــــــــقيق روحٍ شـــــــــفيق   يهـــــــدي شـــــــقيق مغـــــــاني

لا تخـــــش صـــــدمة ســـــوء   وطيـــــب عـــــيش التـــــداني

فانـــــت مـــــن اهـــــل بـــــدر   وأهلـــــــه فـــــــي أمـــــــان

[قصيدة أخرى في أهل بدر]

وقلت:

يا عاذلي في احتمالي معشرا بهـم   وهـــو علـــيّ ببـــدر زائـــد الـــبلج

الموسوي فمـــن للوجـــه منـــه راى   غشى على العين ما يغشـــاه فـــي ســـرج

العيسوي فكـــم ابـــرا لـــذي كمـــهٍ   وكم أمـــات وأحيـــا ميّـــت المهـــج

الأحمدي الذي إن قال كـــن لفتـــى   زيـــدا يكـــون بـــأمر الله فـــانتهج

دعني وشاني وعُدْ عـــن نصـــحك الســـــــــــــــــمح   هم أهل بدر فلا يخشون من حـــرج

[المرور بوادي فاطمة]

وسرنا إلى وادي فاطمة[1]، وأمواج الابتهاج متلاطمة. وكم أرسلت جواد فكرٍ فكَّر في تدبره راجعاً. وكم سرّحت خاطر الخاطر؛ فآب حمـــام تعريفـــه ساجعاً. وكم شاهد الطرف الذي لم يطرف روضاً؛ نسجت بروده أنامل غمايم غيوب. وطرزت بنوده نسايم شقت عن الكمايم جيوب. ولم نشـــعر إلا وقـــد

---

(١) وادي فاطمة: يقع بالقرب من مكة المكرمة، وسمي بذلك لأنه وقف للسيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وفيه ماء غزير، ونخل كثير. انظر: **الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصـــر والحجاز**. للعارف عبد الغني النابلسي.ط١. دمشق: دار المعرفة.١٤١٩هـــ. ج٣ص٣٠٧.

أشرق النور، وأبرق الديجور[١]، وانقشعت سحب القصور، وارتفعت السّجفُ[٢] عن عاليات القصور، وبدت غاليات الأقدار لا القدور غالبات البدور في الجمال المستور.ومزقت الغواشي، وفتقت الرتوق بالتلاشي.

[مشاهدة الكعبة المشرفة، وشعره فيها، وأداء طواف القدوم]

واهتز عرش القلب لشهود بيت الربّ. وطفنا طواف القدوم نتراءى الحي القيوم:

قد أتينا بيت العتيق نزوره	آل بيتِ العتيق فينا نزور
وشربنا من العتيق كؤوسا	أحضرت غايباً بنور يفور
وأسرّت حقيقة البيت سرّا	سرّ فيه سري فظل يدور
وتبدت لديه زهرُ نجومٍ	وشموسٌ أهلةٌ وبدور
واستلمنا اليمين في كل شوط	واعترانا في الالتزام السّدور
وأتينا المقام كيما نصلي	فيه مثنى وللطواف نثور
وإلى الحجر قد ولجنا بذلٍ	وخضوع يلتذ فيه الكسير
وشربنا من ماء زمزم كاسا	منزعاً مدهقاً فزاد الحبور

---

(١) انتهت صفحة٣١.

(٢) السجف: السجاف الستر، والسجف أحد السترين المقرونين بينهما فرجة. جمعها أسجاف، أو سجوف. انظر: **المعجم الوسيط**. ج١ص٤١٨.

وتضـــلعت منـــه جهـــدا لأروي فنمـــاني الظمـــا وقلبـــي نحـــور

وســـعينا إلـــى الصـــفا ومعينـــا فرأينـــا الأكـــدار فيـــه تغـــور

وقضـــينا مـــن واجبـــات علينـــا بعـــض حـــق بـــه تـــتم الأجـــور

واغتسلنا مـــن مـــاء زمـــزم لـــ لإحـــرام ثـــم ســـرنا نطيـــر

لمنـــى ثـــم مـــن فناهـــا ســـرينا لمحـــل التعريـــف نـــزل منيـــر

عرفـــات العرفـــان فيـــه الأمـــاني لمحـــبّ تبنـــى لـــه فيـــه دور

إذ بهـــذا للاوليـــاء جنـــان قـــد حباهـــا لهـــم ولـــيّ شـــكور

لا يـــراهم إلا الـــذي هـــو ســـهم حسبما قد قضـــى الحكـــيم الغفـــور

ورجـــال لـــه كعـــدة الأوتـــا د علـــيهم مـــن المهابـــة صـــور

وجمـــال علـــى الأســـرّة بـــادٍ وجـــلال مـــع الكمـــال ونـــور

ولهم فـــي ســـرادق الغيـــب غيـــب وارتقـــا وغيبـــة وحضـــور[١]

يـــا لهـــم معشـــر كـــرام الســـجايا ....[٢] يمـــور

والأصـــيل الأصـــيل راي بشـــام واليمـــاني فـــي المقـــام شـــهير

---

(١) انتهت صفحة٣٢.

(٢) كلمات غير مقروءة.

وبمليطـــــــة فشـــــــالهم قـــــــد حلهـــا وهـــو فـــي فناهـــا أســـير

والفتى الأصـــبحي رابعهـــم بالـــــ شـــوق والـــذوق للمعـــالي يســـير

ولكـــل منهمـــو وكيـــل جميـــل ناب عنـــه يـــدري بهـــذا الخبيـــر

فعلـــيهم منـــــي ســـــلام ســـــلام ما دعاهم للقـــرب منـــه الصـــبور

أو أتينـــا المســـجد الحنيـــف لـــيلا وأقمنـــــا حتـــــى اســـــتنار ثبيـــــر

ودفعنـــــا إلـــــى منـــــى إذ بلغنـــــا بالوقوف المنـــى وطـــال القصـــير

يـــا لهـــا مـــن مشـــاهد تشهـــــــ ــــد القلب كلاماً يغنى لديه الفقيـــر

وصلاة مـــع الســـلام علـــى مـــن هـــو حـــقّ ونـــور بشـــير نـــذير

وعلـــى الـــه الكـــرام وصـــحب وجههـــم بالـــدعاء منـــه نضـــير

ما أتى مصـــطفى المفـــرط يرجـــو في مقر التعريف يرضـــى الغفـــور

[الوقوف بعرفة والمبيت بالمزدلفة]

وكان الوقوف المسفر بسير القلب دون وقوف يوم الأربعـــاء الخصـــيب المريع فيا له من يوم ما أنداه بالإمداد الوسيع، والمبيت بمزدلفة ليلة الخمـــيس المحركة للشوق الرسيس.

[رمي الجمار والذبح في مِنى]

ولما أتينا منى رمينا الجمرة الأولى، ثم ذبحنا، وفدينا، وحلقنا الشـــعور، وتراجع لنا السعور.

[الاجتماع بالسيد محمد التافلاتي]

واجتمعنا ثاني يوم عند رمي الجمرة الثانية بالصّديق الأوحد، والمحبّ الأمجد العالم العامل السالم الكامل السيد محمد بن السيد أحمد التافلاني[1] غفر الله ذنبه السالف، وحماه من الوقوع في الآتي. فلما رأيته؛ طرت به فرحاً، وسرت به إلى الخيمة منشرحاً. وأخبرني بمبشرة رأى فيها سيّدَ الأكوان غريبة عجيبة تعزّ عن درك بعض الأذهان وأقام هنيهة، وسار، ولم أبلغ من الجمعية به الأوطار.

[رمي الجمرة الثالثة بمنى، وطواف الإفاضة]

وبعدما رمينا الجمرة الثالثة[2] سرنا بعيون فيّاضة، وأدّينا واجب طواف الإفاضة.

[الاجتماع بالتافلاتي وعرض شِعره عليه]

واجتمعنا ثاني يوم القدوم بالسيد المذكور المعلوم في الحرم، تجاه البيت؛ فامتلأ مصباح الأفراح زيتاً، وأي زيت.

وعرضت عليه قصيدتين كتبتهن في ذلك المجلس في كتابين، وأرسلتهما لبيت التقديس؛ ليقف عليهما أرباب اقتراب نفيس؛ فانحظ بهما، ودعا بتحقيق ذوقهما، وشربهما.

---

(١) هو محمد بن محمد المغربي التافلاتي. ولد بالمغرب. وحفظ القرآن وهو ابن ثماني سنين، أخذ العلم عن علماء بلده. ولما نزل مصر طلب العلم فيها من شيوخ الأزهر. قام برحلة طويلة زار فيها الحجاز واليمن والخليج العربي والعراق وحلب ودمشق. وأسندت له فيها إفتاء الحنفية. قال المرادي: كان في الأدب الفرد الكامل له الشعر الحسن مع البداهة في ذلك، وسرعة نظمه. وذكاؤه يشق دياجير المشكلات. وله مؤلفات كثيرة تصل إلى ثمانين. (ت١١٩١هـ). المرادي: **سلك الدرر**. ج٤ص١٠٢ـ ١٠٨.

(٢) انتهت صفحة٣٣.

ولمّا أردت درجهما في هذه السطور لم أرهما في المسودات؛ فقلت: غيبتهما الحكمة؛ إذ الفعل الإلهي عليهما يدور. وسألته أن يرفقني إلى مصر القاهرة؛ لأنشق عَرف مآثره الفاخرة الزاهرة؛ فأبدى أعذاراً، فلم تقبل ذلك منه نفسي؛ لأنها قاسته عليها كما قسته بأبناء جنسي. وإذا الأمر بخلاف هذا المفهوم لما تحققت، وشاهدت في بلاد الروم. وقالت النفس: منع الوصل الغزير الماء النمير عن غرس قضيب التقصير في بستان الحب ذي الوجه النضير وأنشدوا:

غرست لحبي في بساتين حبه
قضيباً فلم يورق وعاد إلى الأصل

ومن يكن التقصير عود غراسه
فليس له أن يجتني ثمر الوصل

[قصيدة يا كعبة حجت لها الأشباح]

وكنت أجلس في المقام الحنفي وأتملى بأنوار البيت الشريف الوفي. وقلت الآن لما زوال البين من البين للفود الآن:

يا كعبة حجّت لها الاشباحُ
من بعد ما أمّت لها الأرواحُ

يا حبة القلبِ المقلبِ في الهوى
يا درةً دارت بها الأفراح

يا ربة الأستار زيحي سترنا
كي تنجلي منك لنا الأقداح

يا شربة رقت وراقت فارتقت
طلابُها لما عليها ساحوا

يا وهبــة الخـــلاق خــصّ بقربهــا … قوماً بكـــأس وصــــالها يرتـــاحوا[1]

يـــا لبـــة لبـــت لهـــا أســـرارنا … وبحبهـــا أهـــل الأســـرّة نـــاحوا

يا شعبة طــوبى لهــا مـــن شـــعبة … طـــوبى لمثلـــك خصّـــها الفتـــاح

إذ كــل بيــت فيـــه غصـــن يـــانع … وهواك من كـــل القلـــوب وشـــاح

يـــا قبلـــة كـــل الوجـــوه توجهـــت … لوجودهـــا فـــأتى بـــذاك فـــلاح

يا جبلـــة جبلـــت ســـرايرنا علـــى … حســـن الوفـــاء فجاءنـــا الإصـــباح

يـــا قبلـــة قبّلـــت فيهـــا خالهـــا … ما كـــان أشـــهى عطرهـــا فـــواح

يا رحمـــة رحمـــت بهـــا زوّارهـــا … مـــن طـــايف أو نـــاظر يلتـــاح

يا بيت ربـــي يـــا ســـماء تقربـــي … يا عـــرش قلبـــي نـــورك وضـــاح

يا ســـلمتي يـــا ميتـــي يـــا منيتـــي … يـــا بغيتـــي قـــد حـــارت المـــداح

يا عزتي يـــا غرتـــي يـــا بهجتـــي … يـــا نهجتـــي هبـــت بـــك الأرواح

يا رغبتي يا رهبتـــي يـــا حجتـــي … يـــا فرحتـــي لمـــا إليـــك انـــزاح

فيك اليمين مـــع المقـــام وحجرنـــا … فيـــك ســـماح والســـماح ربـــاح

كم طـــاف حولـــك ســـيّد وبســـيد … كـــم طفـــت لمـــا خصـــه المنّـــاح

(١) انتهت صفحة٣٤.

ولكـــم قبلـــت حـــين قبلـــت فتـــى
في فيه لمـــا ضـــمت الأركـــاح[1]

فبحقـــك يـــا كعبتـــي فتشـــفعي
فعســـى تـــزور ولا نفـــور رداح[2]

حســـنا يســـتلب العقـــول جمالهـــا
وكمالهـــا مـــن شـــأنها الأســـجاح

هيفاء ما خطرت على قلب امـــرئ
إلا محـــت عـــن ســـره الأتـــراح

لا زال رضـــوان الإلـــه يعمـــك
ويخصّ قوماً عن ســـواك أشـــاحوا

ثم الصلاة مع السلام علـــى الـــذي
كـــأس الهدايـــة منـــه فيـــه طفـــاح

والال والأصحاب والأحبـــاب مـــا
قد نار بيت في الســـما ضـــراح[3]

والتـــابعين لهـــم وتـــابعهم إلـــى
يوم اللقـــا مـــا اهتـــزت الأرمـــاح

وما غـــدا البكـــري يشـــدو قـــائلا
يا كعبـــة حجـــت لهـــا الأشـــباح[4]

---

(١) الأركاح: الأساس والأركان والنواحي. ابن منظور: **لسان العرب**. ج٢ص٤٥٢.

(٢) رداح: الشيء العظيم والضخم. انظر: ابن منظور: **لسان العرب**. ج٢ص٤٤٧.

(٣) ضراح: قوس ضروح : شديدة الحفز والدفع للسهم. والضروح: الفرس النفوح برجله. وفيها ضِراح. و ضرحت الدابة برجلها تضرح ضرحاً، وضراحاً، فهي ضروح: رمحت. ابـــن منظور: **لسان العرب**. ج٢ص٥٢٦. ويقصد بالكلمة سرعة انتشارها.

(٤) انتهت صفحة٣٥.

[قصيدة أخرى بالكعبة المشرفة]

وقلت سابقا فيما قلت من معشرات كأسها ردّ آبقا:

زينب الحسن تنجلـي فـي الحجـازي
فتغنـى عشـاقها بالحجـازي

زيـن القلـب ذكرهـا وهواهـا
واعتـراه بالوجـد نـوع اهتـزاز

زِح حماها تحمي به مـن سـواها
وتذلل تحظـى بوصـف اعتـزاز

زك نفسـا نفيسـة دنسـتها
غفلة ثـم فـي الأعـادي فغـازي

زمن الوصل مثل ومـض بـروق
وأوان الجفـا بعيـد النجـاز

زح غواشي الفؤاد والواشـي دعـه
وبحـبٍّ إلـى المحـبّ فجـازي

زاد أهـل الهـوى غـرام مـدام
فـانتهزْ فرصـةً بغيـر انتهـاز

زمـزم السـرّ شـربهم فسـواهم
في امتنـاع وهـم بحـي الجـواز

زفـرة الشـوق تنطفـي بـالتلاقي
حكمهـا لـيس يتقـى بـاحتراز

زلـة غـب قربهـا قـدر ألـف
فتحصـن وادخـل لنـادي البِـراز

[تردده على المسجد الحرام]

وكنت أتردد على الحرم أوقات الصلاة مترقباً وارد المـوارد، وعايـد الصلاة، متى سمعت المؤذن حيعل[1] ولعلع حجازاً؛ بادرت مجيباً راج جواز تقريب، وجوازاً.

[وصفه جمال الأذان بالمسجد الحرام]

والمؤذن في الوقت إحساناً منه بمعرفته، ولنا إحساناً يفـتح مـن الصـمّ آذاناً؛ لا كمن بأذانه آذاناً؛ إذ نغمة أهل تلك الأماكن نغمة مترفية؛ تحرك مـن الحب السواكن.

وما أحلى همهمة الزمرمي إذ ينادي بتلك الزمزمـة، وأحسـبه ينـادي لحضور موايد الحضور من غاب؛ فينجاب الغياب حتى من أرض السمسمة.

وكان أول من وضعها من جد ودهم فيهم جد ذو وجد وجد يوافونه، ويوافيهم. وبقيت في الذريَّة إكراماً، وإعزازاً، ومزية. ولقد سمعته وأنا قريب منه مـن فيه. ولم أدر من القول خوافيه، وما فيه. ودليل استجابة من يناديه؛ حصـول مهابة في تدانيه.

[قصيدة في مدح أذان المسجد الحرام]

وقلت والوقت يفجر الهبات سفره، وقد خلا بجميل الهبَّات عن منفره[2]:

نـادى مؤذنهـا لوقـت صـلاتها ... فتبـادرت عشـاقُها لصـلاتِها

---

(١) حيعل: حيعل المؤذن: قال: حي على الصلاة. انظر: **المعجم الوسيط.** ج١ص٢١١.

(٢) انتهت صفحة٣٦.

هيـــا هلمـــوا نحوهـــا بصـــبابة فعسى تجود لكـم بمُـزن هباتهـا

ولوجهها صلوا لكي تصـلوا إلـى حـيّ الشـهود فتحتمـوا بحماتهـا

ثم اسجدوا في حـان دائـرة الفنـا وافنـوا الفنـا ببقـاء إمـداداتها

واقروا تحيـات الـوداد وكـرروا لفـظ السـلام لعـز تسـليماتها

وعن السوى صـوموا وقولـوا حطـة تجلى عليكم فـي الظـلام بـذاتها

طوفوا بكعبتهـا ولـوذوا بالصـفا وتجـردوا عـنكم لـدى ميقاتهـا

ثم اقصدوا نزل التفريـق ترشـدوا وتعرفـوا بالسّـرّ فـي عرفاتهـا

وتخلصوا إذ تخلصوا مـن أنفـسٍ أمـارة تلهـو عـن الهاماتهـا

وتقربـوا بمنـى بنحـر نفوسـكم تعطوا منـاكم إي وحـق صـفاتها

لا تهملوا زمن الوصال إلـى غـد كي تنشـقوا زاكـي شـذا حضـراتها

وتضلعوا من مـاء زمـزم سـرها وتخضـعوا وتـذللوا لسـقاتها

وإلى اليمـين فقبلـوا كـي تقبلـوا وتشـاهدوا أسـرار مكنوناتهـا

وتغيبـوا عـنكم إذا احضـرتم والعـين تمحـى مـنكم بوفاتهـا

وإذا فنيـتم بالبقـا هنئـتم بحلـول أكنـاف سـمت بسـماتها

ومماتكم فيهـا حيـاة باللقـا وهـو السّـعادة والمنـا وحياتهـا

سيروا على نجب الغيــوب ببرهــا ... ولتركبوا في البحر ســفن نجاتهــا

ولتـــدخلوا أرض الحقيقـــة واشـــهدوا ... كل الوجــود يلــوح فـــي مراتهــا

ولجوا عــوالم ســر كــل حقيقــةٍ ... ورقيقـــة تـــذكوا بحســـن ذكاتهـــا

واستنشقوا عَرفا ســرى مــن أرضــها ... قد حمل الأطياب مـــن روضـــاتها

ثم اسمعوا فيهــا علـــى اغصـــانها ... أصـــوات أطيـــار حكـــت بلغاتهـــا

وعلى الأسرّة فاجلســوا وتحـــدثوا ... بصـــبابة تـــزدان فـــي خلواتهـــا

وبحورهـــا وقصـــورها فتمتعـــوا ... ثم ارشفوا الأكوان من جلواتهـــا(١)

وافيضوا من اميــاه عرفــان بــدت ... فيها على الأحيــاء مــن أمواتهــا

كي يرتقوا كي يعتقوا مــن خمــرة ... قدســـية أهـــدت شـــذا نفحاتهـــا

ويعـــزروا ويـــوقروا ويحـــرّروا ... بسلاســـل الأنـــوار مـــن جـــذباتها

ثم الصلاة مع السلام علـــى الـــذي ... سلمت بـــه الأعيـــان مـــن آفاتهـــا

بـــر شـــفيق ناصـــح ومبلـــغ ... غوث حكى دار الهـدى وجهاتهـــا

والال والأصـــحاب اهـــل تقـــربٍ ... جلوا وحلوا فـــي فنـــا حضـــراتها

والتابعين وتـــابع قـــد غـــاب فـــي ... غاب الأســـاود مـــن نمـــا لـــذاتها

---

(١) انتهت صفحة٣٧.

ما مصطفى البكري بكـــر للحمـــى
فأتتـــــه هنـــــد حجـــازه بجلاتهـــا

[مبيته في خلوة قرب الحرم وفتح باب الكعبة]

بت ليلة في خلوة قريبةٍ من الحرم المنير، فأيقظني رفيقي وقال: قم فـــإنّ البيت فتح للأمير الشامي الكبير فبادرت الطهارة؛ لألحق الدّخول، فقفل الباب فبلّت النفس عليه لأعلى حومل والدخول.

[دخول حِجر إسماعيل ووقوفه تحت الميزاب]

ثم سليتها، ومنيتها؛ ليذهب الحزن عنها بأنّ بعض الحِجْرِ من غير شك منها، فدخلته، والتزمت البيت التزاماً، ووقفت تحت الميزاب أجري الـــدموع انسجاماً.

[قصيدة في فتح باب الكعبة المشرفة، وعدم تمكنه دخولها]

وأنشدت في وقتي؛ لما تحققت أنّ شوقها ما هدي بـــل أنَّـــت، وحنـــت، وأبدت بتنفسها الصعداء على لسانها؛ ليخف ما بها من أشجانها:

ما ضرّ ليلـــى لـــو تجـــود لصـــبّها
بوصــــاله فمنـــى الشَّـــجي بقربهـــا

ضـــنت بتقريبـــي وجـــادت للســـوا
ففنيـــت عنـــي مـــذ بقيـــت بحبهـــا

عطفت على غيري ومالـــت فـــي الهـــوى
عني وهـــذا مـــن تزايـــد عجبهـــا

يـــا مـــيّ بالعهـــد المعظـــم بيننـــا
جـــودي لـــنفس زاد وافـــر كربهـــا

منـــي وحنـــي واذؤفـــي وتعطفـــي
بمتـــيّم وهـــب القلـــوب لنهبهـــا

كفي التمني واسمحي لو في الكـــرى
بكؤوس وصـــل قـــد شـــغفت بشـــربها

فيها لقد غيبت مذ غيبت من ... أدنانها عن عجمها بل عُربها[١]

وضربت وجه الأرض فعلة ذاهل ... لم يدر فيها شرقها من غربها

وسريت حين شربت اقداح افتضا ... ح نحو حانة جيرة من سربها

سكروا إلى يوم اللقا من خمرة ... معشوقة عشقت لخاطب خطبها

فعسى اراك تنجلي لي في الدّجى ... فالنفس كادت أن تذوب بحجبها

وعليّ ديري اكؤسا من ذاقها ... لم يدر أسري سلمها من حربها

يا سايرا نحو الخبا خذ مهجتي ... وعلى منازل أهل ودي عج بها

واسالهمو بتلطف وتعطف ... رفقاً بها فعسى ترد لحزبها

إذ تلك قد نسيت عهودا بالحما ... من ميلها للحادثات بقلبها

داء الهوى عضل عسير برؤه ... لم يدره إلا القتيل بشعبها

ما قاتل نفس المحبّ سوى الجفا ... لو تنج منه زال سافر سلبها

ما قصدها دار الخلود ولا ولا ... بل قصدها نيل الشهود لربها

فلعل يمنحها الحبيب وصاله ... ويذيقها منّا حلاوة قلبها

ثم الصّلاة مع السّلام على الذي ... دارت عليه رحى الغرام كقطبها

---

(١) انتهت صفحة٣٨.

والال والأصـــحاب اربـــاب التقـــى	قوم لقــد وهبــوا غــوالي وهبهــا
والتـــابعين وكـــل صـــب والـــهٍ	قد أدخلــت دعــد لــذاكي رحبهــا
ما مصطفى عبد الوفا يرجو الصــفا	بشراب أكواب صفت فـــي صـــبها

[نيته أداء العمرة، فلم تتم، واجتماعه بشخص يدعى جعفرا]

وقد أردت العمرة فمنعتني من الذنوب الغمرة وتوجهت مع صويحب لي لزيارة سيد يسمّى جعفراً، فرأيت صدراً رحيباً ودراً مصـــيباً ودراراً طيبـــاً، وبحراً لا جعفراً[1].

ولم أجتمع بالشيخ محمّد عقيلة[2] الدُّرة العقيلة؛ لأن الاجتمـــاع العينـــي الجمي تابع للتعارف الغيبي العلمي الاسمي. والسيّد المذكور له قـــدم صـــدق مشكور ومذكور، وقد بشر بحصول الإلطـــاف، ونشـــر مطـــوي العطـــاف. وحباني بعدما حياني عطفة بعد عطفة، ودعا دُعا يملأ الأنام وما ثنى بالثنـــا عني[3] عطفه. وكرفْتُ من طيبه المستطاب، وحديثه الحلو الجنا ما يفيض به الوطاب[4]. وودعته منصرفاً، وبفضله معترفاً.

---

(١) الجعفر: النهر والناقة الغزيرة اللبن. انظر: **المعجم الوسيط**. ج١ص١٢٦.

(٢) هو محمد بن أحمد بن سعيد المشتهر والده بعقيلة الحنفي المكي الشيخ الإمام العالم العلامـــة الأوحد النحرير الفهامة المسند الثقة المتفنن البارع أبو عبد الله جمال الدين ولد بمكة ونشأ بها وأخذ في طلب العلم (ت١١٥٠هـ). المرادي: **سلك الدرر**. ج٤ص٣٠.

(٣) انتهت صفحة٣٩.

(٤) الوطاب: الوطب سقاء اللبن، وهو جلد الجذع فما فوقه. والثدي العظيم، جمعها وطاب. انظر: **المعجم الوسيط**. ج٢ص١٠٥٣.

[وداع المسجد الحرام]

وفي ثاني يوم ودعنا البيت الشريف المحمود. ونزلنا مع رفاقنا الكـرام في الشيخ محمود. ولمّا طفت طواف الوداع طغت الدموع، ولها على الخدود اندفاع وقلت:

طفت الدموعُ علـى الخـدود سـراعا ... لما فتحـت مـن الـوداع شـراعا

والتظ فـي الأحشـاء نـارٌ تفـرق ... عن بيت ربي حين رمـتُ وداعـا

من لي بأن أمسـي مقيمـا عنـده ... كيما أنـال لـدى المقـام سـماعا

وأرى بحِجْرِ صـدوقٍ وعـدٍ نفثـة ... في الروح تقضي للفتـى أطماعـا

وأرى الملايك حين تنـزل جهـرة ... وكـذاك أرواح شـذاها ضـاعا

وتقيدني وتفيدني مـا لـيس عنـ ... دي من علـوم تـذهب الأوجاعـا

وأنـال منهـا مـا يعـز ترفعـا ... لا أختشـي بعـد اللقـاء ضـياعا

يـا حبـذا أوقـات بسـط نلتهـا ... حـال الشـهود لبيتنـا ألماعـا

فحسـبتها برقـا تـألق او كـأحلا ... م مضـت تهـدي الصـفا أنواعـا

يا ليتهـا دامـت لتسـقي جامهـا ... جام صـفاها شـاع ذكـراً داعـا

[قصيدة في الشوق للمدينة المنورة في أثناء العودة]

وقلت:

سـرينا نحـو طابـة باشـتياق
على عيني سـعيت لهـا وراسـي

مدينـة أحمـد خيـر البرايـا
ومن حبي له فـي القلـب راسـي

بـلادي نشـرها العطـري يشـفي
كلومـاً فهـو للمسـقوم آسـي

ويحمـل ريحهـا الأطيـاب طـرا
فيهـدي روح ريحـان وآسـي

وعـودا عبهـرا نِـدا ومسـكا
وأزهـاراً لهـا كـم لانَ قاسـي

مقبلهـا فمغسـول إذا مـا
لـه ذاق امـرؤ للغيـر ناسـي

موافيهـا هـو الـوافي بعهـدٍ
مصافيها فذا مـن خيـر ناسـي[١]

كسـاه الحـبّ ثوبـا إثـر ثـوبٍ
سقاه القـربُ كأسـاً غـبَّ كاسـي

لـديها تنتهـي الامـال منـا
لدى بحـر لهـا تـدني المراسـي

---

(١) انتهت صفحة٤٠.

[وصف حاله في المدينة المنورة]

ولما حللت تلك الدار التي شموسها شارقة، وطسوسها حارقة للنفــوس، وللحجب خارقة؛ بادرت إلى الزيارة الجامعة لكل بارقة اللامعــة أضـــواءها بكل طارقة تتجارى في حلية المســـابقة لحضـــرة كحضـــرة الله؛ لا تحتمـــل المخافقة؛ بل موافقة للحق موافقة ما بها مشافقة.

وعند الوصول إلى الوصول المأمول في السابقة واللاحقة؛ جرت خيــول سيول دموع دافقة في ميدان تفكّر حَسن، وإحسان؛ أرجاؤه عابقة من الســوى عاتقة حبيب الغيوث فاتقة بإمدادات فايقة رايقة، أنهار بحورها الرايقة ســابقة للأرواح شانقة على الأرواح حائقة[1]، حصلت يسارات، وبشارات لايقة.

وعدت بما وعدت حقيقته دواة أداة الآمال لائقــة، وأثـــارت، وأنـــارت رقايقه؛ فقطعت من الموثق علايقه[2]، وعوائقه.

وأبقت عليه عواتقه، وعوابقه، وأدخلته حدائقه وحبست عليهـــا حدقـــة، وحسنت خلايقه ثم أطلقت بصره؛ فرأى بحوراً دافقة في فناء قصور شـــاهقة بها حور ذات حور بمرافقها رافقة؛ فطلب منهم سماعاً يذيب التياعاً، ويبيض من السامع مفارقه.

وبعد التملي، والتدلي على المطابقة؛ لم يطق مفارقه؛ فقيـــل لـــه: لا بـــد منها، وإلا حجبت عنها؛ فتسمّى النفس زاهقه فإنّ المطلـــوب لا يقــف عنـــد مرغوب عيون الغيوب له رامقة؛ فسار لحضرة نور الأنوار، وتعوقت النفس الآبقة؛ حين فلق الصبح فالقه؛ فيا لها من جذبةٍ بها الأماني متسابقة، والتهاني

---

(١) حايقة: حاق به الشيء حيقاً وحيوقاً: أصابه وأحاط به. **المعجم الوسيط**. ج١ص٢١١.

(٢) العلاقة: الحب اللازم للقلب. وقيل ما بكتفى به من العيش. **المعجم الوسيط**. ج٢ص٦٢٨.

متراكمة متضايفة؛ فاتحة أبواب السُّرور، والشرور غالقــة علقــت معالقهــا بالأجنة[1] من الأحبة؛ فهي عالقة.

ولما صحي العبد من سكره، وسكن لهيب أواره؛ شهد نفسه فـــي جـــوار من أوصى بحفظ الجوار؛ فأخذ يشكو انتزاح دار والتياح فؤاد به الوجد دار.

وبعد مزاره لكثير أوزار منعت الحبّ الزوار؛ وصـــل الـــديار بالـــديار؛ فرفعت أستار عن إذن ستار، ولمع برق أسرار بأسرار، وأنوار.

وجاء حديث لا يمل ساعة وهب أخبار أخيار، ونهب اصـــطبار يســـار محتار غير مختار؛ لا يشق له غبار يزيل عثاراً، ويمحو آثاراً غياراً؛ فَهِم أنّ العبد سيوفه نايبة عند محبّ محبته، رابية المقدار؛ إذا المـــدى قريـــب بـــين المحبّ، والحبيب الجار؛ فإنه نادبه، ومنه ينادبه. فكيف سال الدّمع الجـــاري الحار، والحبّ ما جار؟

نعم للقرب آثار لا ينكرها إلا من حار، وعند هـــذا الكشـــف والرشـــف المدرار؛ سكن القلب ذو الأبدار، والإندار، وأنشد لما صحب ســـما الأذكـــار؛ سكن الفؤاد؛ فعش هنيئاً يا جسد، ولا تشتكي الأضرار، هذا النعيم هو المقـــيم إلى الأبد دون إنكار وصاح صاح ما له عذار.

---

(١) انتهت صفحة٤١.

[قصيدة كُشف الحجابُ فلاحت الأنوارُ]

كشِف الحجابُ فلاحت الانوارُ
وترفعت بظهوره الأطوار

وبه لقد دهش المتيم ما اهتدا
مذ حارت الغياب والحضار

جحد السوى صب الهوى لما ارتوا
من خمرة إذ شأنه الإقرار

يحتار من سر الظهور مع الخفا
وبما المنى يختص من يختار

قرب الوريد من المحيد محقق
بالنصّ فاز بسرّه السيار

ما ثم إلا حيرة في حيرة
من حيرة لم يدرها المختار

كالقاب من قلب المحب له دنا
قلب المشاهد للمشاهد دار

لو صار قلبا كله لم ينقلب
إن القلوب تأزها الأستار[1]

وامزج بماء العلم كاسا مدهقا
فالمزج ماءٌ والصرافة نار

---

(١) انتهت صفحة٤٣.

من يخترق ذا يحترق حبّا وحـــ ... ـــجباً تحت رقٍ حاله الإسكار

إن تبتغي لقياه فالغ غيره ... من غيرة إن المحبّ يغار

يا صاحبي قد صاح بي صحوي أفق ... وارجع إليك فما لديك قرار

واكشف قناع عناك في طلب العلى ... منّاك أنت فكم عليك تحار

واسمع وابصر بالسّميع فمن درى ... سرّ السماع أهاجه المزمار

واعرف به نفسا لتعرفه فمن ... يدري لها لم يلهِه الإكثار

واستر عن المحجوب غامض سرها ... بتخلق إذ ربُّك الستار

وإذا شربت الشمس عند شروقها ... وصفت سرت بغروبها الأكدار

ورمت على ارض القلوب شعاعها ... فتشعشعت بظهورها الأسرار

فبذا يطيب العيش من بعد الجفا ... إنّ الصفا يأتي به الإسرار

هذا سبيل البِرِّ سِرْ في بره ... فالفخر أن تسري وفيك يسار

واركب متون بحوره وارفع قلو ع ستوره تنجو لك السمار

يا رب بالمختار والال البحا ر وصحبه قوم هم الأخيار

والتابعين وتابعيهم جملة ما لاحت الأنواء والأنوار

زح ظلمة لوجودها بشهودنا بطهارة فازت بها الأطهار

وادخل بنا لبناء لبنى سرنا ليلوح من صبح الجبين نهار

وارفع مراتبنا لديك وجد لنا بمنى المنا كيما يفوح بهار

ثم الصّلاة مع السّلام بلا انقضا ما كرّت الأيام والأدوار

يهدي لطه المصطفى والمقتفى بحر الصَّفا من زال فيه عثار

والال والأصحاب والأحباب ما صاحت على قطب الرّبى أطيار[1]

أو ما تغنى مسعد بسعاده وربابه فأهاجه التذكار

أو مصطفى راجي الوصال تعطفا يبكي التماطل والدموع غزار

---

(١) انتهت صفحة٤٣.

[زيارة البقيع]

وفي ثاني يوم عُمتُ في بحر زيارة البقيع أي عــوم، وعمّــت بركــات سكانه علي، وهَمَت إمدادات قطانه، وانسابت إلي.

[بياته في المسجد النبوي الشريف وحفل مولد فيه]

وبتّ في الليلة الثالثة من القدوم في الحرم، وكان الأمير عمل مولداً بين العشاءين، وبث في الخدم دنانير الكرم.

[تردد الشيخ البقاعي على الصديقي، ودخوله الطريقة الخلوتية]

وكان يتردد عليّ أحيانا صديقنا الواعي سيما عند الطواف بالبيت الجميل المساعي الشيخ محمّد البقاعي، حباه الله البواعث والدواعي.

فقلت في سري ولم يشعر بما فيــه ذري مخاطبــا للســيّد الأعظــم ذي الكوكب الدري؛ يا سيدي إن كان لمحمّد في أخذ الطريق خيرة لها، لا يــدري فسقه الآن. وحرك سره، وأثلج للعطاء صدره؛ فرأيته قام من مجلسه، وأمّني، وجلس بين يدي، وصافحني، وطلب أخذ العهد، ولم يكن له بذلك من عهد.

فأمرته أن يجدد الطهارة، ويأتي قُبالة الشباك الرفيع، ويستغفرماية مرة، ويصلّي، ويسلم كمثلها على خير شفيع، ثم يستأذن فيما إليه قصد، وينظر مــا الذي يرد على قلبه بعد ما للوارد صدّ؛ فعاد وأسرّة وجهه تبرق. وقــال قــد انشرح صدري؛ فأجبته، ولم أطرق.

وبات عندي، وأكلت في ليلة عيدي قندي[1]. ولم أقم من منامي إلا قبيــل الفجر؛ لقلق طفح به جامي.

---

(١) القَنْدي: نسبة إلى القند، وهو حلواء معمولة من السكر. الجزري الشيباني، علي بن أبي الكرم محمد: **اللباب في تهذيب الأنساب**. بيروت: دار صادر. ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. ج٣ص٥٩.

[وصف لوعة فراق المدينة المنورة]

ومذ تذكرت الفراق الذي يتحصن منه بألف راقٍ؛ طار لبّـــي، وطـــاش عقلي، واندهش الفؤاد الجامع من وديان الحب عليّ ألف واد.

وأذهب التذكار للبعد السرور، والحبور والفرح، ورأيت ثقلة على قلـــب الشفوق يفوق ألف رحى. واستوحشت لنزل قرب الفنا به مـــا يعجـــز عـــن حصره وعده ألف نابِه[1].

[قصيدة في تأثره بقرب الرحيل عن المدينة المنورة]

وقلت وقد عضنا البعاد بنابه: ليت ما حلّ بنا به:

يا ســـادة قلـــب المشـــوق اراعـــوا
بـــوداعهم والســـر منــــه أذاعـــوا

وعلـــيَ كـــانوا بـــالتقرب انعمـــوا
فارتـــاح صـــب بـــالهوى يلتـــاع

وبه انمحـــت آي البعـــاد وابصـــرت
آي التـــــداني فـــــانتهى الوقـــــاع

وببيـــنهم قـــد اوســـعوني حســـرة
وتلهفـــاً ونمَـــتْ بـــي الأوجـــاع

والنفس قد نزعت لحســـن تجـــاوز
وتحـــــاور إنّ الفـــــراق نـــــزاع

إذ كل عضو فيـــه ســـيف مصـــلت
في حبّ من عقـل المحـب أضـاعوا

---

(١) انتهت صفحة٤٤.

قــوم اقــاموا مقعــدا فــي حــبهم
وهـــــواهم لقلوبنــــا لسّـــــاع

وبهم نثــرت نظــيم دمــع مســجمٍ
يـــوم الفـــراق فبعـــدهم لـــذاع

وغدا لســاني الكنــا لــم اســتطع
نطقاً وعن وصــف تقاصــر بــاع

وقــد اشــتريت وصــالهم بــالروح إذ
أعطيتهــا فشــروا لهــا مــا بــاع

ومنحت في قربي لهــم كــل المنــى
وسقى النــديم وقــد أقــيم ســماع

وبلغت فيهم منــزلا مــا مــرّ فــي
فكــري ولا عَلَقَــت بــه الأطمــاع

والقاعة الوعســا حللــت بســوحها
قـــاع بــــه تتعطــــر الأقـــواع

فكسيت مذ عري الســوي ورويــت مــذ
عطشوا وقد أشــبعت لمــا جــاعوا

وبها لقــد نوديــت ادن ولا تخــف
لصـــــفينا لــــم يمنـــع المنــــاع

فدنوت والأحشــاء ترجــف هيبــة
في حضرة زالــت بهــا الأفــزاع

وإذا الحبيــب المصــطفى بالنفــــ
س يشفع رحمة كيما يــزول قنــاع

مـــولى محبتـــه بـــنصٍ ســـنة
وكـــذا القيـــاس أفـــاد والإجمـــاع

وكذاك حـــبّ الال والصـــحب الـــذ
ين نعوتهم لو ســـوف تلـــك بـــراع

صـــلى عليـــه الله منـــه مســـلما
مـــا فـــازت الخـــدام والأتبـــاع

والال والأصـــحاب مـــا الأجنـــاس قـــد
كثـــرت كـــذا الأقســـام والأنـــواع

او حرك الشـــوق الرســـيس تفرقـــا
عن دوحةٍ فنحَـــت بهـــا الأســـماع

اطفالهـــا يـــرديهم فطـــم كمـــا
ضـــرّ الصّـــغير وســـره الإرضـــاع[١]

[خُلَعُ قبول الحجّ عند الرسول ﷺ]

وقد نصّ الخواص، ومنهم الخواص أنّ خُلَعَ القبول لا تخلع على الحـــاج إلا عند الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ليزداد منه الســـرور بقبـــول الســـعي المشكور.

ولا بد للزاير من إكرام. وهذه الخلعة؛ نهاية الإنعام، وأفضـــل الزيـــارة أحاديثه أنجم سيارة. وفي بعضها: "ومن لم يزرني". وفي أخرى "يزر قبـــري فقد جفاني"[٢]؛ فحقّ عليّ وإن كنت المتواني أنْ أسعى على أجفاني.

---

(١) انتهت صفحة٤٥.

(٢) عن ابن عدي عن ابن عمر يرفعه: "من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني". ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وهو غير جيد؛ لأنّ ابن عدي لما رواه بين سنده وحكم عليه بأنـــه جيـــد. والدارقطني لما رواه في غريب مالك" قال: تفرد به هذا الشيخ يعني النعمان بن سبل وهـــو

وذكر بعض أهل الكشف الرباني أنّ المجاورة في المدينة لا يقدر عليها إلا الأقوياء من كل داني؛ لفرط ظهور النور المحمدي في ذلك المقام الواحد الأحدي.

[شعر أبي الطيب المتنبي في لوعة الفراق]

وما أحق بيت أبي الطيب أن ينشد عند فراق أبي الطيب:

يا من يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم

وقوله:

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت لها المنايا إلى أرواحنا سبلا

[قصيدة عن المدينة المنورة للشيخ العلامة محمد البكري]

وقصيدة السباق في ميدان السباق سيّدي محمد البكري[1] المدام البكري النسب، والحسب، والمقام:

يا رايحا نحو الحجاز ميمّما يطوي الفلا بنجايب ونياقِ

بالله إنْ جزت العقيق فقف به وابلغْ تحيةَ مُغرمٍ مشتاق

منكر. ولا يلزم من هذا أن يكون المتن منكراً راجع بتوسع: تقي الدين السبكي: **شفاء السقام في زيارة خير الأنام.** بيروت: لجنة التراث العربي. ص٢٧-٢٩.

(١) هو الشيخ محمد البكري الكبير الملقب بأبيض الوجه، شيخ الإسلام، وعلم الحرمين ومصر، وبلاد الشام، أخذ علوم الشريعة والتصوف عن أبيه شيخ الإسلام أبي الحسن وتفقه على جماعة منهم الشيخ عميرة. وكان فصيح اللسان ذكي العصر، والزمان. وكان الكبراء يخصونه بالزيارة من بين أقرانه. مات في التمتع مئة. عبد الغني النابلسي: **الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام مصر والحجاز.** تحقيق رياض عبد الحميد. ط١. دمشق: دار المعرفة. ١٤١٩هـ. ج٢ص٦٣.

واقري السّــلام علــى أهيــل المنحنــى ... واشرح لهم وجدي ومــا أنــا لاقــي

فعســــاهم ان يســــمحوا بزيــــارةٍ ... تطفي الجــوى ولــواعج الأشــواق

وإذا وصلت إلــى المدينــة ســالما ... وبلغـــت غايـــةَ مُنيـــة العشـــاق

فقل السّلام عليك يا خيــر الــورى ... وأعــز مخلــوق علــى الخــلاّق

يا صادقا نطــق الكتــاب بصــدقه ... وبفضـــله ومكـــارمِ الأخـــلاق

قد شــقنا طــول التباعــد والجفــا ... أفهــلْ لنــا مــن زورةٍ وتلاقـــي

قسما بنور جمال وجهــك صـــادقا ... يا خيــرة الملــك العزيــز البــاقي

إن عاينـــت عينـــاي طيبـــة مـــرّة ... وبلغتها مــن بعــد طــول فــراق

لأعفرنّ الخدّ شــكرا فــي الثــرى ... ولأكحلـــنّ بتربهـــا آمـــاقي(١)

ولأحلفـــن يمـــين صـــدق بـــرّة ... منـــي بغيـــر تملُّـــقٍ ونفـــاق

أن لا أفارق مــا حييــت ربوعهــا ... ما دمت في قيــد السّــلامة بــاقي

مني السّلام عليــك مــا هبــت صــبا ... وجـــرت بـــريح طيـــب خفـــاق

---

(١) انتهت صفحة٤٥.

[وداع الحرم النبوي الشريف]

وفي الليلة الرابعة بتُّ في الخيام، وكانت تلك الليلة ليلة الختام؛ فأيقظـــت سحراً ابن عمي. وجيت معه للحرم مودعاً؛ فزال غمي.

[قصيدة للصديقي في طلب الشفاعة]

وقرأت ورد السحر كما فعلت في المرة الأولى، وتقــدمت بعــده لمواجهـــة الشيخين راجياً أن أُمنح سُؤلا:

وســـألت جـــدّي أن يـــديم شـــفاعة
عند الرسول بمـــن دهتـــه ذنـــوبُ

فهو القريب من القريـــب وأنـــت لـــك
مولى الرقيب لـــدى الحبيـــب قريـــب

فأجاب سرا لست أغفـــل عنـــك بـــل
إنـــي شـــعارك والشـــعار قريـــب

مهما سألت سمعت ثـــم شـــفعت فيـــ
ـــه وإن طلبت لـــك المجيـــب يجيـــب

فافرح بربـــك انـــت فـــي نعمائـــه
متقلـــب يـــولي الجميـــل حســـيب

وإذا دهى غمّ وقـــد عـــم الـــورى
واســـتاب هـــمٌّ حـــايق وخطـــوب

لا تخش ضيما أنت في كنـــف لـــه
وجـــواره والجـــار منـــه حبيـــب

وبدا عليك جلـــى المراتـــب كلهـــا
فأتاك من ســـر الخصـــوص نصـــيب

فاشكره كي يزداد فـايض فضـله
ويـدوم إحسـان لـديك صـبيب

فحمدت ربـي جـل لـيس كمثلـه
شـيء تعـالى مـن إليـه أنيـب

فله الثنا والشـكر مـا لاح السـنا
أو عاد من بعـد المنـال غريـب

[صلاة الفجر في المسجد النبوي وزيارة البقيع]

ودعوت بما أجراه قلم التقدير على لسان الفقير الحقيـر، وقبـل إتمـام الثانية؛ صاح صايح الفجر بعدما لاح لايح الأجر. فركعناه جماعة، ثم سـرنا بعد ساعة للبقيع. وقد هالنا الوداع القطيع، ثم عدنا للخيمة المظلة؛ ولم تطـف غلة الفراق المطلة.

[هدّ الخيام والعزم على المسير، ووداعه النبي ﷺ]

ولما هدت الخيام وعزم الحج على المسير دون قيام[1] أسرعت لتوديع المقام. وأطلت الإقامة حتى كاد أن تفوتني الرفاق الكرام.

---

(١) انتهت صفحة٤٧.

[شعر الشيخ النابلسي في المدينة المنورة]

وتذكرت قول شيخنا المقدام الشيخ عبد الغني[1] بُلغ المرام:

يا نبي الهدى إليك اعتذاري
إنني من هواك في الأرض سايح

لم يطب غير طيبة لفؤادي
أنا منها أشم طيب الروايح

كيف تبرا جراحتي في بلاد
لحبيبي ترابها المسك فايح

وكنت خمّستُ هذه الأبيات قبل أن أحلّ هذه الدور والأبيات وهو

مدّعي الحب للأحبة جاري

لا تقل كاذباً هوى الحب جاري

بل فقل خاضعاً ودمعك جاري

يا نبي الهدى إليك اعتذاري

---

(١) هو: العارف بالله الشيخ عبد الغني بن إسماعيل المعروف كأسلافه بالنابلسي الحنفي الدمشقي صاحب المصنفات المتداولة شرقاً وغرباً. ولد بدمشق سنة ١٠٥٠هـ. وتوفي والده سنة ١٠٦٢هـ، فنشأ يتيماً موفقاً، واشتغل بقراءة العلم كالفقه، وأصوله والنحو والبيان والتفسير. وأخذ الطريقة القادرية عن الشيخ عبد الرزاق الحموي الكيلاني، والنقشبندية عن الشيخ سعيد البلخي. قام برحلات كثيرة. ومات بدمشق عام١١٤٣هـ. وله كثير من المؤلفات. انظر: المرادي محمد خليل: **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**. ط٢. بيروت: دار ابن حزم ودار البشائر. ١٤٠٨هـ. ج٣ص٣٠-٣٣.

إنني من هواك في الأرض ســايح

لم أزل في السرى أخــبّ البــوادي

بفــؤاد صـــاد لوصـــل البـــوادي

غير أني وطيــب قــرب ســعادي

لــم يطــب غيــر طيبـــة لفــؤادي

أنـــا منهـــا أشـــم طيـــب الـــروايح

كلمتني فكلمتني بنادٍ

كلمتني فيه ببعض أيادٍ

يا طبيبي قل لي بسر صوادٍ

كيف تبــرا جراحتـــي فـــي بـــلاد

لحبيبـــي ترابهـــا المســـك فـــايح

[صلاة الجمعة في الروضة الشريفة]

وكنت اجتمعت في الروضة الشريفة اللماعة يــوم العروبــة[١] ونحـــن منتظرون صلاة الجمعة الجماعة برجل مصري عليه هيئـــة العــزّ، وهيبـــة الصّلحاء أهل العزّ.

---

(١) يوم العروبة: هو اسم يوم الجمعة.

فسألني عن الاسم، والبلد، والأهل، والولد؛ فأجبته. وسألته عن مدة الإقامة في جوار صاحب[1] العمامة، والغمامة؛ فأخبرني بأنها عدّ حبيب فهي هي. وحبيب الحبّ يبتدي؛ فلا ينتهي؛ فغبطته بكلي لكلي على هذه النعمة. وقال: إنّ هذا السيد لم يدع فينا للغير نسمة، ولا شمّة؛ فملت إليه بقلبي، وقالبي. وكان الحبّ في ذلك غالبي. وسألته أن لا ينساني عند عين عيني، وإنسان إنساني.

[ملاحظة الصديقي لقول خطيب الحرم النبوي الشريف]

وكنا صلينا الجمعة ونحن متوجهون للحرم المكي ذي اللمح الملكي، والخطيب في الكرتين واحد فضله، لم يجحده واجد. وكنت أسمع خطيبنا يقول: يا سعد زوار الرسول؛ إذ يقول خطيبهم مظهراً بقوله استلذاذاً: قال نبيّكم هذا. فلم أسمع هذه المقالة من الخطيب ثم رجعت مفكراً عن السبب؛ فإذا هو مصيب أديب لبيب أريب فإن الحاضر وإن أشير إليه بهذا لكن يحل مقام تخاطب الأعلام عن هذا ألا ترى أنا لا نرى حسناً قولنا في حضرة سلطاننا قال: ملكنا هذا وربما لو سمعناه من غيرنا نقول هذا هذا ونحمل حال من قال على مقام الإدلال، وهو غير لائق بكمال الرجال.

فان مجال الأدب ضيق الرحب، وإن كان المخاطب بحراً لا تعكره الدّلاء بحال.

[وداع وادي العقيق بالدموع]

ولما جرى في وادي العقيق عقيق الدمع، وخلفت جباله خلفي؛ جعلت النوم حلفي؛ إذ قال: سام نام من كثرت همومه نام.

---

(١) انتهت صفحة٤٨.

ولم نزل نحنّي الكف بدمع فاني عن وكفه ما انكف، إلى أن وصلنا العُلا.

وخاف الحاج من عدم وجدان الجردة الفلا، وأمسينا نضرب حيرة لا خديعة أخماساً للأسداس، وقد وفد علينا جيش الوسواس، فبينا نحن في وهمٍ، والتباس، وقد التقى البطان، والحقب معاً من البأس إذ سمعنا صوت كأس فتباشر الناس وهاجوا، وماجوا[1] وأخذوا بأيمانهم أكواب إيناس؛ لما تحققوا بقدوم أكياس يقتبس منهم نبراس أخبار نفاس عن أهل، وأوطان؛ فتراجع إحساس.

[وصول تبوك]

واجتمع كل ناس بأناسٍ، وزالت الوحشة، ووقع البسط بلا قسطاس. وجئنا قلعة تبوك، وثوب الصفا محبوك.

[وصول محطة الحسا، وتغيّر الأحوال الجوية]

وما برحنا نقطع السباسب، والقفار بدون أسى حتى وصلنا لمحطة الحسا[2]. فلما سرينا منها؛ سح السحاب، واضطرب الناس أيّ اضطراب.

[تأثر القافلة بالأحوال الجوية، والاستعانة بذكر الله]

وحصل نقص في الجمال لموجب الفسخ من الأوحال، وسقط كثير أحمال.

وكان يوماً عبوساً، لكن كفانا مولانا فيه بؤساً، وحفّت بنا ألطاف مددها، وافي بسبب ذكر الحفيظ، واللطيف، والكافي.

---

(١) انتهت صفحة٤٨.

(٢) محطة الحسا: لعلها مدينة الحسا. وهي اليوم تقع في الأردن جنوبي مدينة عمان.

[وصول الشام]

ودخلنا الشام في صحة، وإنعام في السابع والعشرين من محرم الحـــرام عام إحدى وثلاثين وماية وألف أحسن الله منها الختام. وأفضل الصلاة، وأتـــم السلام على سيدنا محمد سيد الأنام، ومصباح الظلام، وعلى آله، وأصـــحابه الأعلام.

وقد نجز تبييض هذه الرحلة المسماة بالحلة الحقيقية لا المجازيـــة فـــي الرحلة الحجازية على سبيل الاختصار ونسأل الله تعالى أن يمنّ علينا بالعود لتلك الديار، والمجاورة في هاتيك الأماكن ذات الفيض المِـــدرار؛ لنســـتوفي الزيادات، وتوسع ضيق العبادات.

والله الهادي المقصود، لا سواه من كل الوجود. والحمد لله رب العالمين في كل وقتٍ وحين.

[تاريخ الفراغ من نسخ الرحلة]

وكان الفراغ من نسخها، وتسطيرها، ورقمها، وتحريرهـــا فـــي أفضـــل الأيام الحادي والعشرين من شهر الصيام سنة ألف وماية وثمان وأربعين من بحرة أفضل الخلق وأشرف المرسلين على يد من أعيتـــه ذنوبـــه، وأوقفتـــه عيوبه، أفقر العباد محمد عبد الجواد[١].

---

(١) انتهت صفحة٥٠.

الفهارس

١ - فهرس الآيات القرآنية.

٢ - فهرس الأحاديث النبوية.

٣ - فهرس الأعلام.

٤ - فهرس الأماكن والبقاع.

٥ - فهرس الكتب.

٦ - فهرس المصطلحات.

فهرس الآيات

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية
١	ولله على الناس حج البيت	آل عمران	٩٧

فهرس الأحاديث

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن والبقاع

فهرس الكتب

فهرس المصطلحات

كشف المراجع

ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد: **مصنف ابن أبي شيبة**. تحقيق كمال الحوت. ط١. الرياض: مكتبة الرشد. ١٤٠٩هـ.

ابن الأثير الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد: **النهاية في غريب الحديث والأثر**. تحقيق طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي. بيروت: المكتبة العلمية. ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

ابن الحاج، محمد بن محمد العبدري: **المدخل**. دار الفكر. ١٤٠١هـ/١٩٨١.

ابن الضياء المكي، محمد بن أحمد بن محمد: **تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف**. تحقيق علاء إبراهيم، أيمن نصر. ط٢. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن العماد، عبد الحي بن أحمد: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط. ط١. دمشق: دار بن كثير. ١٤٠٦هـ.

ابن القيم الجوزية، حمد بن أبي بكر أيوب الزرعي: **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

ابن أنس الأصبحي، مالك: **موطأ الإمام مالك**. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. مصر: دار إحياء التراث العربي.

ابن تغري بردي الأتابكي، يوسف: النجوم **الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

ابن تيمية، أحمد عبد الحليم: **مجموع فتاوى ابن تيمية**. تحقيق عبد الرحمن بن محمد النجدي. ط٢. مكتبة ابن تيمية..

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي: **الإصابة في تمييز الصحابة**. تحقيق علي محمد البجاوي. ط١.بيروت: دار الجيل. ١٤١٢هـ.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. بيروت: دار المعرفة. ١٣٧٩هـ.

ابن حنبل: **مسند أحمد**. القاهرة: مؤسسة قرطبة.

ابن خلدون، عبد الرحمن: **مقدمة ابن خلدون**. ط٥. بيروت: دار القلم. ١٩٧٤م.

ابن دحية الكلبي الأندلسي البستي، عمر بن الحسن: **أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رجب**. تحقيق : جمال عزون. ط١. بيروت: مؤسسة الريان. ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م.

ابن فارس،أبو الحسين أحمد: **معجم مقاييس اللغة**. تحقيق عبد السلام محمد هارون. ط٢. بيروت: دار الجيل. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

ابن فرحون اليعمري، إبراهيم بن علي: **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر: **طبقات الشافعية**. تحقيق د الحافظ عبد العليم خان. ط١. بيروت: عالم الكتب. ١٤٠٧هـ.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: **المعارف**. تحقيق دكتور ثروت عكاشة. القاهرة: دار المعارف.

ابن قدامة، عبد الله بن أحمد: **المغني**. ط١. بيروت: دار الفكر. ١٤٠٥هـ.

ابن كثير، إسماعيل: **البداية والنهاية**. بيروت: مكتبة دار المعارف.

ابن كنان، محمد بن عيسى بن محمود: **يوميات شامية**.

ابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب**. ط١. بيروت: دار صادر.

أبو خزام، د أنور فؤاد: **معجم المصطلحات الصوفية**. ط١. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون. ١٩٩٣م.

الأزدي، محمد بن الحسين بن محمد: **طبقات الصوفية**. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

الألباني، محمد ناصر الدين: **سلسلة الأحاديث الضعيفة**. الرياض: مكتبة المعارف.

البخاري، محمد بن إسماعيل: **صحيح البخاري**. تحقيق: د مصطفى ديب البغا. ط٣. بيروت: دار ابن كثير، اليمامة. ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م.

بدران، عبد القادر: **منادمة الأطلال ومسامرة الخيال**. تحقيق زهير الشاويش. ط٢. بيروت: المكتب الإسلامي. ١٩٨٥م.

بدوي، عمار توفيق: **التذوق الأدبي لورد السحر**. بقة الغربية: أكاديمية القاسمي. ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

بدوي، عمار توفيق: **العلامة محمد بن أحمد السفاريني حياته وجهوده العلمية**. ط١. طولكرم: دار الفتوى. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

البغدادي، إسماعيل باشا: **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢م.

البلوي، خالد بن عيسى: **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**. تحقيق الحسن السائح. دولة الإمارات العربية.

البيروتي، محمد بن درويش بن محمد: **أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب**. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١٨ هـ/١٩٩٧م.

البيهقي، أحمد بن الحسين: **سنن البيهقي**. تحقيق محمد عبد القادر عطا. مكة المكرمة: مكتبة دار الباز. ١٤١٤ هـ/١٩٩٤م.

التلمساني، أحمد بن محمد المقري: **نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب**. تحقيق د إحسان عباس. بيروت: دار صادر. ١٣٨٨هـ.

التهانوي، محمد علي: **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**. تحقيق د علي دحروج وآخرين. ط١. ١٩٩٦م. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن: **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**. ٣مج. بيروت: دار الجيل. ج١ص٢٤٦.

الجرجاني، علي بن محمد: **التعريفات**. تحقيق إبراهيم الأبياري. ط١. بيروت: دار الكتاب العربي. ١٤٠٥هـ.

الجزري الشيباني، علي بن أبي الكرم محمد: **اللباب في تهذيب الأنساب**. بيروت: دار صادر. ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

الجهضمي المالكي، إسماعيل بن إسحاق: **فضل الصلاة على النبي**. تحقيق محمد ناصر الدين الألباني. ط٣. بيروت: المكتب الإسلامي. ١٣٩٧ هـ.

الحاكم النيسابوري، محمد بن عبدالله: **المستدرك على الصحيحين**. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

الحموي، ياقوت بن عبد الله: **معجم البلدان**. بيروت: دار الفكر.

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان: **سير أعلام النبلاء**. تحقيق شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي. ط٩. بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٤١٣هـ.

السبكي، تقي الدين: **شفاء السقام في زيارة خير الأنام**. بيروت: لجنة التراث العربي.

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

السفاريني، محمد بن أحمد: **إجازة الزبيدي**. ١مج. مخطوط. من مكتبة الحرم المكي الشريف. رقم المخطوط ٢٦٠٧.

السمهودي، علي بن عبد الله بن أحمد: **خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى**.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: **الحاوي للفتاوي**. تحقيق عبد اللطيف حسن عبد الرحمن. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

السيوطي، : عبد الرحمن بن أبي بكر: **طبقات الحفاظ**. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤٠٣هـ.

الشوكاني، محمد بن علي: **الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة**. تحقيق عبد الرحمن يحيى المعلمي. ط٣. بيروت: المكتب الإسلامي.

الصفوري، عبد الرحمن بن عبد السلام: **نزهة المجالس ومنتخب النفائس**. تحقيق عبد الرحيم مارديني. بيروت، دمشق: دار المحبة، دار آية. ٢٠٠١.

الصنعاني، عبد الرزاق بن الهمام: **مصنف عبد الرزاق**. تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. بيروت: المكتب الإسلامي. ط٣. ١٤٠٣هـ.

الطبراني، سليمان بن أحمد: **المعجم الأوسط**. تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. القاهرة: دار الحرمين. ١٤١٥ هـ.

عبد الغني، د محمد إياس: **تاريخ المدينة المنورة المصوَّر**. ط١. المدينة المنورة: مطابع الرشد. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

عبد الهادي، محمد: **الصارم المنكي في الرد على السبكي**. تحقيق إسماعيل بن محمد الأنصاري. مكتبة التوعية.

عيسى، عبد القادر: **حقائق عن التصوف**. ط٤. عمّـــان: المطبعـــة الوطنيـــة. ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

الغزالي، محمد بن محمد: **إحياء علوم الدين**. بيروت: دار المعرفة.

الغزي، محمد بن عبد الرحمن: **ديوان الإسلام**.

الفيروز أبادي، محمد يعقوب: **القاموس المحيط**. بيروت: مؤسسة الرسالة.

القرطبي، محمد بن أحمد: **الجامع لأحكام القرآن**. القاهرة: دار الشعب.

الكاتب، سيف الدين: **أطلس العصر النبوي وعصر الخلافـــة الراشـــدة**. ط١. حلب: المؤسسة العلمية للوسائل التعليمية. ١٤٢٩هـ.

الكاشاني، عبد الرزاق: **معجم اصطلاحات الصوفية**. تحقيـــق د عبـــد العـــال شاهين. القاهرة: دار المنار. ط١. ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير: **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمساسلات**. تحقيق د إحسان عباس. ط٢. بيروت: دار العربي الإسلامي. ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

الكتبي، محمد بن شاكر: **فوات الوفيات**. تحقيق علي محمد بـــن يعـــوض الله، عادل أحمد عبد الموجود. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية. ٢٠٠٠م.

اللقيمي، مصطفى أسعد: **موانح الأنس في زيارتي لوادي القدس**. ١مج. ط١. تحقيق وتعليق عمار توفيق بدوي، وآخرون. باقـــة الغربيـــة: مركـــز الدراسات الإسلامية والمخطوطات. ٢٠٠٤م.

المتنبي، أحمد بن الحسين: **ديوان المتنبي مع شرحه العَرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب**. لناصيف اليازجي. بيروت: دار صادر.

محمد محمد شراب: **المعالم الأثيرة في السنة والســـيرة**. ط١. دمشـــق: دار القلم. ١٤١١هـ.

محمد مرتضى الحسيني: **تاج العروس من جواهر القاموس**. تحقيق مجموعة من المحققين. دار الهداية.

المرادي محمد خليل: **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**. ط٢. بيروت: دار ابن حزم ودار البشائر. ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

مصطفى، إبراهيم، وآخرون: **المعجم الوسيط**. بيروت دار إحياء التراث العربي. السهيلي، عبد الرحمن بن الخطيب: **الروض الأنف**.

المناوي، محمد عبد الرؤوف: **سيدة نساء أهل الجنة فاطمة الزهراء أو إتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب**. تحقيق علي أحمد عبد العال الطهطاوي. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

النابلسي، عبد الغني: **الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز**. ط١. دمشق: دار المعرفة.١٤١٩هـ.

النبهاني، يوسف بن إسماعيل: **جامع كرامات الأولياء**. ٢مج. تحقيق إبراهيم عوض. بيروت: المكتبة الثقافية. ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٠م. ج٢ص ٤٧١.

النعيمي الدمشقي، عبد القادر بن محمد: **الدارس في تاريخ المدارس**. تحقيق إبراهيم شمس الدين. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١٠هـ.

النميري البصري، عمر بن شبة: **أخبار المدينة**. تحقيق : علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

النووي، محي الدين: **المجموع**. بيروت: دار الفكر. ١٩٩٧م.

النويري، أحمد بن عبد الوهاب: **نهاية الأرب في فنون الأدب**. تحقيق مفيد قمحية وجماعة. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

النيسابوي، مسلم بن الحجاج: **صحيح مسلم**. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين: **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**. تحقيق محمود عمر الدمياطي. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

الهيتمي، أحمد بن محمد بن حجر: **الفتاوى الكبرى الفقهية**. دار الفكر.

الهيثمي، ابن حجر: **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**. القاهرة، بيروت: دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي. ١٤٠٧هـ.

كشاف المواضيع